دراسة في الأديان

①

الوحي والملائكة

في

اليهودية والمسيحية والإسلام

Bibliotheca Alexandrina
0125559

لواء أحمد عبد الوهاب

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

دراسة في الأديان

①

الوحي والملائكة

في
اليهودية والمسيحية والإسلام

لواء أحمد عبد الوهاب

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ـ ١٣٩٩ هـ
مارس ـ ١٩٧٩ م

جميع الحقوق محفوظة

هـــذه السلسلة :

بسم الله

الذى قال فى التوراة :

« انا الرب الهك .. لا يكن لك آلهـة اخرى »

وقال على لسان اشعياء :

« قبلى لم يصور اله وبعدى لا يكون .. انا الرب ولا اله غيرى »

وصلى اليه المسيح قائلا فى الانجيل :

« وهذه هى الحياة الأبدية : ان يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

وقال لنبيه فى القـرآن :

« فاعلم انه لا اله الا الله » .

«والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

« قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقـاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .

بسم الله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشريك والمثل ، تبدأ هـذه السلسلة : **« دراسـة الأديان » ـ لتـكون دعـوة « الى الله على بصـيرة »** فى زمن تلح فيه مطالب الأمن والســـلام على الانسان أن يعـود سريعا الى الله .

* * *

تقـــديم

ماذا يريد الانسان ... ؟

انه يريد ــ اولا ــ تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحيـاة المستمرة ...

انه ــ باختصار ــ يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبـع لا يريد مضادات السـعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب ...

ان الانسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون ــ كبشر ــ ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وان اختلفت مفاهيمها لديهم ــ فى بعض الأحيان ــ عن تلك التى يسعى من أجلها غيرهم .

* *

وتحـدثنا الكتب المقدسـة عما يسعد الانسان ويشقيه ، فتعـده بالأولى اذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية اذا تمـرد على المنهج الالهى ، وجعل الشيطان له قرينـا .

ونتبين من التـوراة مطالب السعادة التى يرجوها الاسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التى جاء بها موسى :

« اذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها : اعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها .. فتأكلون خبزكم وتسكنون فى ارضكم آمنين .. وتطـردون أعداءكم بالسيف .. والتفت اليـكم واثمركم واقى ميثاقى معكم .. واكون لكم الهـا وتكونون لى شعبا .

ــ لا ويين ٢٦ : ٣ ــ ١٢ »

كما تحدد لنـا التـوراة عناصر الشقاء التى يحذرها الاسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن ان لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم فرائضى ، وكرهت انفسكم أحكامى .. فانى أعمل هذه بكم : اسلط عليكم رعبا وسـلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله اعداؤكم واجعل وجهى ضـدكم فتنهزمون أمام اعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم .. واصير سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس .. واصير مدنكم خربة .. واذريكم بين الأمم ، واجرد وراءكم السيف فتصير ارضكم

موحشة .. والباقون منكم ألقى الجبانة فى قلوبهم فى أرض اعدائهم .. فتهلكون بين الشعوب وتاكلكم أرض اعدائكم — لاويين ٢٦ : ١٤—٣٨ » .

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الاسرائيليين — وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية — انما هى امور تتعلق بالحياة الدنيا .

فاليهودى لا يرجو الا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر الا شقاءها .

❋

اما الانجيل ، فلا ترجى فيه السعادة الا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهيرة :

« طوباكم ايها المساكين لان لكم ملكوت الله . طوباكم ايها الجياع الآن لانكم تشبعون ، طوباكم ايها البواكون الآن لانكم ستضحكون — لوقا ٦ : ٢٠ — ٢١ » .

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الارض حيث يفسد السوس والصدأ .. بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ — متى ٦ : ١٩ — ٢٠ » .

كذلك لا يحذر الانسان شقاء الا شقاء الآخرة :

« ان اعثرتك يدك فاقطعها . خير لك ان تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضى الى جهنم الى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان اعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك ان تدخل الحياة اعرج من ان تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان اعثرتك عينك فاقلعها . خير لك ان تدخل ملكوت الله اعور من ان تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ — مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٨ » .

ويذكر الانجيل بوضوح على لسان المسيح ، انه محال الجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الاغنياء واصحاب الممتلكات الدنيوية ، اذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للاغلبية الساحقة منهم — ان لم يكونوا جميعهم — سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر احد ان يخدم سيدين .. لا تقدرون ان تخدموا الله والمال .

لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تاكلون وما تشربون ، ولا لاجسادكم بما تلبسون — متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ » .

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك الى ملكوت الله .. مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله — مرقس.١٠:٢٣—٢٥».

*

واما فى القرآن ، فيستطيع المسلم ان يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » (البقرة : ٢٠٠ — ٢٠١)

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .. والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون .. والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما .

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما .. خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » . (الفرقان : ٦٣ — ٧٦) .

« قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » . (الأعراف : ٣٢)

ولقد جمع ابراهيم أبو الأنبياء بين خيرى الدنيا والآخرة ، اذ قال الله فيه :

« جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه اجره فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . (العنكبوت : ٢٧)

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » . (القصص : ٧٧)

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا انفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

« ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون » . (الأعراف:٩٦).

To: www.al-mostafa.com

وكان قول هود لقومه عاد :

« يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » . (هود : ٥٢)

وحين يتمرد الانسان على منهج الله فعليه ان يتوقع الشقاء ، لا فى الآخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ، ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » . (الروم : ٤١)

« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » . (النور : ١٩)

« فان يتوبوا يك خيرا لهم ، وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة » . (التوبة : ٧٤)

هذا — ولما كانت الحياة الآخرة حياة الابد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل ان يوجه همه الى الآخرة وان يستخدم الدنيا وسيلة تعينه على تحقيق سعادته فى الآخرة . **من اجل ذلك كان على المسلم ان يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه ان يؤثر ما فى الآخرة على الدنيا ، وعليه كذلك ان يعترف بشقاء الدنيا والآخرة ، الا ان ما فى الآخرة اشد وأقسى :**

« فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى .

واما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » . (النازعات : ٣٧ — ٤١)

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين » . (القصص : ٨٣)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، اولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » . (الأنعام : ٨٢)

« لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » . (الأنعام : ١٢٧)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها ، وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم » . (لقمان : ٨ — ٩)

* *

وخلاصة القول فى النظر الى سعادة الانسان وشقائه ، انها فى اليهودية دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية اخروية فحسب ، بينما هى فى الاسلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

وايا كان الحال ، فكيف يحقق الانسان المؤمن بالله سعادته المنشودة او على الاقل كيف يتخلص من الشقاء فى حاضره ومستقبله ؟

لقد اجمعت الكتب المقدسة على ان المدخل الوحيد لذلك هو باب البر ومشتقاته .

على الانسان ان يكون بارا لكى تلفظ حياته الشقاء ويحيا ابدا فى النعيم .

عندئذ يتحرر من كل الشرور والاهوال ، ولو كانت اهوال الآخرة :

« لا يحزنهم الفزع الاكبر ، وتتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الانبياء : ١٠٣)

فالبر صفة من صفات الله ، بهذا قال المسيح :

« أيها (الرب) البار ، ان العالم لم يعرفك .. وهؤلاء عرفوا انك أرسلتنى — (يوحنا ١٧ : ٢٥) » .

وكان الانبياء بررة ، هكذا « كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله — (تكوين ٦ : ٩) » .

ولذلك لم يهلكه الله مع الهالكين فى الطوفان :

« وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك ، لانى اياك رأيت بارا لدى فى هذا الجيل — (تكوين ٧ : ١) » .

وكان ابراهيم بارا ، وقد استحق هذا اللقب وما يترتب عليه من عطاء الهى كريم ، بعد أن آمن بصدق الوعد الالهى بتكثير نسله ، فى الوقت الذى ما زال فيه عقيما ، وكان نسله بظهر الغيب :

« أخرجه (الرب) الى خارج وقال له انظر الى السماء وعد النجوم . ان استطعت أن تعدها وقال له هكذا يكون نسلك .

فآمن بالرب ، فحسبه له برا — (تكوين ١٥ : ٥ — ٦) » .

وفى هذا يقول بولس :

« اذ لم يكن (ابراهيم) ضعيفا فى الايمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا اذ كان ابن نحو مئة سنة .. ولا بعدم ايمان فى وعد الله ، بل تقوى بالايمان معطيا مجدا لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر ان يفعله ايضا . ولذلك ايضا حسب له برا — (رومية ٤ : ١٩ — ٢٢) » .

وشهد ابراهيم للوط ومن معه من المؤمنين بانهم ابرار ، ولذلك كان يجادل الملاك الذى جاء لاهلاك المدينة الظالمة ويقول له :

« افتهلك البار مع الاثيم . عسى ان يكون خمسون بارا فى المدينة ، افتهلك المكان ولا تصفح عنه من اجل الخمسين بارا الذين فيه ؟ ! — (تكوين ١٨ : ٢٣ — ٢٤) » .

وتقول المزامير :

« لا تقوم الاشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الابرار . لان الرب يعلم طريق الابرار ، اما طريق الاشرار فتهلك — مزمور ١ : ٥ — ٦ » .

« كلمة الرب مستقيمة ، وكل صنعه بالامانة ، يحب البر والعدل — مزمور ٣٣ : ٤ — ٥ » .

وكان يوسف النجار خطيب مريم بارا :

اذ « لما وجدت (مريم) حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سرا — متى ١ : ١٨ — ١٩ » .

وكانت عقيدة المؤمنين بالمسيح فى عصره انه انسان بار :

« فلما راى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الانسان بارا — لوقا ٢٣ : ٤٧ » .

وفى القرآن الكريم نجد ان الاصل اللغوى للبر يكون احدى صفات الحق سبحانه :

« انا كنا من قبل ندعوه ، انه هو البر الرحيم » . (الطور : ٢٨)

كما انه من صفات الملائكة ، كما قال تعالى :

« فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بايدى سفرة . كرام برره » . (عبس : ١٢ — ١٦)

والبر من صفات الانبياء ، كما قيل فى شان يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم :

« وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا » . (مريم : ١٤)

« وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا » . (مريم : ٣٢)

ولذلك كان دعاء المؤمنين — وما زال — هو ان يكون عاقبة امرهم مع الابرار :

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار » . (آل عمران : ١٩٣)

وما ذلك الا لان الابرار لهم خير عقبى واكرم مستقر :

« إن الابرار لفى نعيم . على الارائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » . (المطففون : ٢٢ — ٢٤)

ومن المتفق عليه بين المسيحية ، والاسلام أن البر باعتباره السبيل الوحيد للخلاص ، يتركب من نواة هي الايمان تغلفها الأعمال الصالحات. وكما تنهار الذرة اذا تحطمت نواتها ، كذلك ينهار البر اذا فقد الايمان .

« أيها الانسان .. ان الايمان بدون اعمال ميت . الم يتبرر ابراهيم ابونا بالاعمال اذ قدم ابنه .. على المذبح . فترى أن الايمان عمل مع اعماله ، وبالاعمال اكمل الايمان » . (يعقوب ٢ : ٢٠ — ٢٢)

والقول الفصل فى حقيقة البر ، هو ما يقوله القرآن الكريم :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . (البقرة : ١٧٧)

من هذا نتبين أن البر مرادف للتقوى والصدق مع الله ، وان الاساس الذى يقوم عليه هو الايمان بالله . فالايمان اصل الاصول وجوهر الحقيقة ، وبدون الايمان يتحقق دمار الانسان . ولا يتحقق الايمان بالله الا بتوحيده توحيدا خالصا من كل شرك ، وتنزيهه — سبحانه — عن الشبيه والمثيل .

❋

لقد عرفت البشرية الايمان عن طريق الانبياء والمرسلين ، وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى ، كانت للملائكة فيه اليد الطولى . ولقد وصل وحى الله الى الناس شفاها وكتابة ، ثم جمع وسجل فى كتب مقدسة ، ومن ثم كان على المؤمنين بالله ، أن يؤمنوا كذلك بالملائكة والوحى، ودعاة الهدى من الانبياء والمرسلين ، وان يؤمنوا بكتب الله المنزلة من عنده الخالصة من التغيير والتبديل .

من اجل ذلك نستفتح هذه السلسلة : دراسة فى الأديان — بهذا الكتاب الذى يتحدث فى فصليه الاول والثانى عن ركيزتين من ركائز الايمان هما : الملائكة والوحى ، ثم زيد عليهما فصل ثالث يتحدث عن الجن ، تلك المخلوقات الخفية التى يعتبر الايمان بها من نتائج الايمان بالدين . واذا كان انسان القرن العشرين يتطلع الى اكتشاف عوالم قريبة منه فى جنبات الكون الواسع الرهيب ، فكيف به ينكر لعالم الجن القريب منه حسبما اخبرته بذلك الكتب المقدسة .

لا شك ان الايمـان بوجود الجن يحـل للانسان كثيرا من المشاكل والالغاز التى قد تحير فكره وتوقعه فى متاهات من الالاعيب والأوهام .

ومن المتفق عليه بين اليهودية والمسيحية والاسلام ان قوة الايمـان تتجلى فى التصديق بالأمور الغيبية . وركنه الركين هو الايمـان بالله ، فانه سبحانه لم ينظره احد قط .

« لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار ، وهو اللطيف الخبير » .
(الأنعام : ١٠٣)

فالحق ـ جـل جلاله ـ لا يدركه الانسان الا ببديع خلقـه ، وآثار رحمته ، وجبروت قوته ، وعظائم امره .

والملائكة والوحى والنبوة تعتبر ـ بوجـه عام ـ من الأمور الغيبية التى تتطلب الايمان بها ، وهو ايمان يقوم على كونها حقائق بجانب اعتبارها عوامل ضرورية تدفع الانسـان للايمان بالله . وهى حقائق تدرك وليس من اللازم أن ترى ، تمـاما كمـا ان قوى الطبيعة من مغنطيسية وجاذبيـة تدرك ولا ترى ، وقد أوجبت الكتب المقدسة الايمان بها .

« اما الايمان فهو الثقة بما يوحى والايمان بأمور لا ترى ، فانه فى هـذا شهد للقدماء .. بالايمان نوح لمـا أوحى اليه عن أمور لم تر بعـد خاف فبنى فلكا لخـلاص بيته ، فيه دان العـالم وصار وارثا للبر الذى حسب الايمان ـ عبرانيين ١١ : ١ ـ ٧ » .

ويقول الانجيل :

« طوبى للذين آمنوا ولم يروا ـ يوحنا ٢٠ : ٢٩ » .

ونقرأ فى القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هذه الآيات التى تقـرر جمـاع الأمر كله :

الـم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هـدى للمتقين .

الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

والذين يؤمنون بما انزل اليك ، وما انزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » (البقرة١ـ٥).

وفى جميع الأحوال لابد ان يقوم الايمان على برهان ، والا فسـدت العقائد ، وسار كل حسب هواه .

ومن البراهين التى اقامها القـرآن للنـاس على وحدانية الله ـ تعالى ـ قوله :

« لو كان فيهما آلهـة الا الله لفسـدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون .. أم اتخذوا من دونه آلهـة !

قل : هاتوا برهانكم ، هـذا ذكـر من معى ، وذكـر من قبلى ، بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » . (الانبياء : ٢٢ — ٢٤)

والله أسأل أن يهـدى النـاس الى الايمان الحق ، فيتحقق فيهم قول الحق :

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خـوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئـك اصـحاب الجنـة خالدين فيها ، جـزاء بما كانوا يعملون » (١) .

احمـد عبد الوهاب

---

(١) سورة الأحقاف : ١٣ — ١٤ .

الفصل الأول

الملائكة

الملائكة

حين يذكر لفظ الملائكة تأتى على الفور الى أفكار السامعين او القارئين وخيالاتهم صور الخلائق العلوية الجميلة ، المبراة عن الكدر والخطيئة ، المكللة بالبهاء والجلال .

ولقد اتفق الناس على هذه الصورة المشرقة للملائكة وسطروا ذلك فى نتاج افكارهم من فنون وآداب .

ونود هنا ان نلمس الحقيقة فى موضوع الملائكة ـ هذه المخلوقات التوراتية ـ التى كثر الحديث عنها فى الكتب المقدسة .

*

من الطبيعى ان يرتبط الحديث فى هذا الكتاب عامة ـ وموضوعه : الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والاسلام ـ بالحديث عن الله سبحانه . وبادىء ذى بدء نقرر قاعدة اصولية يجب الا تغيب عن الاذهان ولو للحظة واحدة ، وهى أن :

كل قول او حديث يستطيع ان يرسم فى اذهان البشر صورة لله ، فهو قول باطل وحديث خرافة يتنافى مع اساسيات العقيدة نقلا ، وعقلا . ويمكن البرهنة على حقيقة هذه القاعدة من نصوص الكتب المقدسة .

تذكر التوراة ان موسى اشتاقت نفسه لرؤية الله ، فكان اليه وحى الله : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش ـ خروج ٣٣ : ٢٠ » .

ويقول الوحى على لسان أشعياء : « بمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلون به ؟ أ ـ أشعياء ٤٠ : ١٨ » .

ويقول يوحنا : « الله لم ينظره أحد قط ـ الرسالة الأولى ٤ : ١٢ ».
ويقول القرآن :

« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » . (الشورى : ١١)

لقد كان هذا تقريرا لابد منه ، حتى إذا ما اصطدم القارىء بنص من كتاب مقدس يتحدث عن الله كما لو كان يتحدث عن شىء مادى محدود

الابعاد والخواص ، كان عليه ان يرد الخطأ فى ذلك النص الى قصور فى فهم الكاتب وانحراف فى تفكيره .

❋ ❋

الملائكة فى اسفار العهد القديم

ظهرت الملائكة فى صور بشرية لتخاطب الصالحين من البشر وترشدهم الى ما يصلح امورهم .

فقد جاءت الملائكة ضيوفا الى ابراهيم وهم يتمثلون بشرا من الرجال حتى انه حسبهم عابرى سبيل فقام يجهز لهم مائدة من الطعام . وفى ذلك يقول سفر التكوين :

« فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفين لديه .. فلما نظر ركض لاستقبالهم ..

وقال .. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت الشجرة .. فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » .

ويدعى كتبة الاسفار ان الملائكة اكلت من طعام ابراهيم ، اذ قالوا له :

« هكذا نفعل كما تكلمت .. والذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا — تكوين ١٨ : ٢ — ٨ » .

ويبدو ان الكلام عن ممارسة الملائكة لمتطلبات الحياة البشرية وطبائعها من أكل وشرب وخلافه — وذلك حين تظهر للناس فى صور بشرية — انما يرجع أساسا الى ما جمح به خيال كتبة سفر التكوين عند حديثهم عن بدء الخليقة واقتباسهم أساطير تقول بحدوث تزاوج وانجاب نسل بين الملائكة — الذين دعوهم أبناء الله — وبين الفتيات الجميلات من بنات حواء .. وفى هذا قالوا :

« وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ان ابناء الله راوا بنات الناس انهن حسنات ، فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا . وبعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم .
(تكوين ٦ : ١ — ٤)

❋

وجاء ملك فى صـــورة رجل الى أبوى شمشون وهما بعد عاقرين ليبشرهما بوليـــد منتظر : « فتراءى ملاك الرب للمـراة وقال لهـا ها انت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابنـا ...

فدخلت المراة وكلمت رجلهـا قائلة : جاء الى رجل الله ومنظـره كملاك الله مرهب جدا ..

فقام منـوح وسار وراء امراته وجاء الى الرجـل .. فقال .. عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنوح — قضـاة ١٣ : ٢ — ١٣ » .

وعندما عرف منوح أن ذلك الرجل هو ملاك الله ، دفعه خياله الى الظن بانه شاهد الله وعليه بعد ذلك ان ينتظر الموت :

« حينئذ عرف منوح انه ملاك الرب . فقال منوح لامراته نموت موتا لاننا قد راينا الله — قضاة ١٣ : ٢١ — ٢٢ » .

والذى حدث بعد ذلك أن منوح وامراته لم يموتا سريعا كما توقـع لانه اخطأ الفكر والقول فما رآه لا يمكن ان يكون سوى ملاك الله .

*

وقد زل قلم كتبة الاسفار حين جعلوا الملائكة ابنـاء الله . فهـــذا سفر أيوب يحكى عن مجمع مقدس فى حضرة رب الســـماء والارض — سبحانه — حضره الشيطان مع الملائكة وجرت فيه كوميديا الهيـــة تقول بعض فصولها :

« كان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا امام الرب ، وجاء الشيطان ايضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان من اين جئت .. فاجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الارض ومن التمشى فيها ... — ١:٦—٧ ، ٢ : ١ — ٢ » .

*

وظهر الملاك جبريل فى صورة رجل من البشر ، ليعلم النبى دانيال ويفسر له رؤيا شاهدها فى منامه :

« وكان لمـا رأيت انا دانيـــال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشـبه انسان واقف قبالتى . وسمعت صوت انسان بين أولاى . فنـــادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا . فجاء الى حيث وقفت ولمـا جاء خفت وخررت على وجهى ، فقـال لى افهم يا ابن آدم ان الرؤيا

لوقت المنتهى واذ كان يتكلم معى كنت مسبخا على وجهى الى الأرض ، فلمســـنى واوقفنى على مقـــامى ، وقال هانذا اعرفك ما يكون ـــ دانيـــال ٨ : ١٥ ـــ ١٩ » .

واستمر دانيال يرى جبريل على هيئة بشرية فى مواقف اخرى :

« وبينما انا اتكلم واصـــلى واعترف بخطيتى وخطيـــة شـــعبى .. اذا بالرجل جبرائيل الذى رايته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا لمســـنى عند وقت تقدمة المساء وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال انى خرجت الآن لاعلمك الفهم ـــ دانيال ٩ : ٢٠ ـــ ٢٢ » .

❋

ويستطيع الصالحون من البشر ان يروا الملائكة فى طبيعتها النورانيـــة رؤية تحسها اعينهم تماما كمـــا تحس رؤية الاشياء المـــادية ، وكما تحس غير المـــاديات مثل ضوء الشمس ونور القمر والوان طيف الضوء الابيض .

ولقد كان هذا هو الحال مع موسى فى بدء تلقى الوحى :

« واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميـــه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب » .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى اميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم ـــ خروج ٣ : ١ ـــ ٣ » .

وكذلك راى اشعياء الملائكة فى طبيعتها وهى ذات اجنحة :

« لكل واحـــد ســـتة اجنحة ، باثنين يغطى وجهـــه ، وباثنين يغطى رجليـــه ، وباثنين يطـــير . وهـــذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس ، رب الجنود مجده ملء الأرض . فاهتزت اساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا ـــ اشعياء ٦ : ٢ ـــ ٤ » .

❋

هـــذا ـــ وبعد ان نصرف النظر تمـــاما عما قيل عن اطعام الملائكة ، وتزاوجهم مع البشر ، واعتبارهم ابنـــاء الله والخلط بينهم وبينـــه ـــ سبحانه ـــ نجد ان الملائكة فى اسفار العهد القديم تعتبر مخلوقات علوية ، تتعامل مع عبيد الله المختـــارين ـــ مثـــل الأنبياء والصـــالحين ـــ بالتعليم والهـــداية والرعاية . ويستطيع الانبياء مشاهدتها فى طبيعتها النورانية كما انهـــا غالبا ما تشاهد متمثلة اشباها من الرجال .

❋ ❋ ❋

الملائكة فى العهد الجديد

جاء الملاك جبريل على هيئة رجل من البشر رسولا من الله الى مريم يبشرها بمولد المسيح :

« ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف . واسم العذراء مريم .

فدخل اليها الملاك وقال سلام لك ايتها المنعم عليها . الرب معك مباركة انت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله .

وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع — لوقا ١ : ٢٦ — ٣١ » .

❋

وللملائكة واجبات واعمال مثل رعاية الانبياء والمرسلين وخدمتهم ، كما كان الأمر مع المسيح ، بعد أن اعتمد من يوحنا ، ونجح فى اجتياز الفتنة التى جربه بها الشيطان :

« وكان هناك فى البرية اربعين يوما يجرب من الشيطان . وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه — مرقس ١ : ٣١ » .

« وقال المسيح الحق الحق اقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان (المسيح) — يوحنا ١ : ٥١ » .

❋

وحين تظهر الملائكة للبشر فى طبيعتها النورانية ، فانها تكون فى هيئة وضاءة مشرقة :

« ملاك الرب نزل من السماء .. وكان منظره كالبرق ولباسه ابيض كالثلج — متى ٢٨ : ٢ — ٣ » .

❋

وللملائكة علم لكنه محدود بالقدر الذى حددته مشيئة الله . فهناك من الأمور ما غميت انباؤه على كل المخلوقات ومنهم الملائكة والمسيح ؛ ومن هذه الأمور موعد يوم القيامة :

« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما احـد ولا الملائكة الذين فى السماء الا (الله) وحده — مرقس ١٣ : ٣٢ » .

وفى محاورة بين المسيح والصدوقيين ، وهم طائفة من اليهود الذين لا يؤمنون بالقيامة ، ذكر أن المؤمنين الصالحين سـوف يحيون هنـاك مخلدين كالملائكة لا يذقون الموت لانهم ابناء الله كما يزعم كتبة الاسفار :

« لا يستطيعون ان يموتوا ايضا لانهم مثل الملائكة وهم ابنـاء الله اذ هم ابنـاء القيامة — لوقا ٢٠ : ٣٦ » .

❁

وللملائكة عمـل فى يوم القيـامة ، اذ يعهد اليهم بفرز الابرار من الاشرار ، ثم طرح الآخرين فى نار جهنم . فلقد قال المسيح :

« يشبه ملكوت السماوات شـبكة مطروحه فى البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلات اصـعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعـوا الجياد الى اوعية واما الاردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون فى انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الاشرار من الابرار . ويطرحونهم فى اتون النار . هنـاك يكون البكاء وصرير الاسنان — متى ١٣ : ٤٧ — ٥٠ » .

❁

ويزعم كتبـة الاسفار أن من الملائكة من سار وراء رغباته وضـل ، ولم يجتنب نفسه هوان المعصية فاستحق بذلك العذاب المهين وقد جاء فى ذلك قولهم :

« الله لم يشفق على ملائكة قد اخطاوا بل فى سلاسـل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء — (٢) رسالة بطرس ٢ : ٤ » .

« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام — رسالة يهوذا ١ : ٦ » .

ولبولس آراؤه فى الملائكة ، فهو يزعم انه سيحاكمها فى اليوم الموعد :

« الستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم .. الستم تعلمـون اننا سندين ملائكة ، فبالاولى أمور هذه الحياة — (١) كورنثوس ٦:٢—٣» .

ويضـع كاتب الرسالة الى العبرانيين الملائكة فى مرتبـة اعلى من المسيح :

« لكن الذى وضـــع قليـلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجـــد والكرامة — عبرانيين ٢ : ٩ » .

*

فمما سبق تقـرر اسفار العهد الجديد ان الملائكة مخلوقات تستطيع الظهور فى هيئـة بشرية ، او فى صـــورة نورانية ، وللملائكة علم ، وعليهم تكاليف وواجبات ، ولهم ارادة حـرة .

* * *

المـلائكة فى القـــرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثـير فى موضـــوع الملائكة ، ويتحدث عن اعمالهم فى الكون ، وعلاقتهم بالانسان ، فى الدنيا والآخرة

فالملائكة هم رسل الله الى عباده المكرمين من بنى الانسان ، وحـين تاتيهم الملائكة فى طبيعتها المضيئة فانها تشاهد على شكل جسم من النور له اجنحة نورانية متعددة :

« الحمـد لله فاطـر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحـــة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشـــاء ان الله على كل شىء قدير .

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعـده وهو العزيز الحكيم . (فاطر : ١ — ٢)

وحين تظهر الملائكة فى طبيعتها النورانية فانها تتراص فى صفوف منتظمة ، تسبح لله ، وتتـــلو آياته ، فتلهم الحق والخير ، وتزجر عن الكفر والشر :

« والصافات صـــفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . ان الهـكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » .
(الصافات : ١ — ٥)

*

وقد تظهر الملائكة فى صورة رجال من البشر ، ولكن هذا لا يعنى انها تمارس ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز ، مثل الاكل والشرب وغيره .

ولقد جاء جبريل الروح الأمين الى مريم لينفـذ مشـيئة الله بمولد المسيح منها بنفخة قدسية ، وكان متمثلا صورة رجل من البشر :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فارسـلنا اليهـا روحنـا فتمثـل لهـا بشرا سـويا »
(مريم : ١٦ — ١٧)

ولمـا جاءت الملائكة ابراهيم تبشره بمولد ابنه اسحق كانت على هيئة رجال من البشر . ولمـا لم يكن ابراهيم قد عرفهم بعد ، فانه سارع باعداد وليمة لاطعامهم ، لكن الملائكة احجمت عن الطعام ولم تمـد أيديها له ، فشعر ابراهيم لذلك بالخوف والريبة :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهـ م بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفـة قالوا لا تخف انا أرسـلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسـحق يعقوب . قالت يا ويلتى ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشيء عجيب . قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » . (هود:٦٩ـ٧٣)

❋

وللملائكة علم وفكر ، ولهم منطـق وفهم يناقش الامور ويتـدبر الحوادث ويعرضها للمنطق والاستنباط .

فحين اقتضت الحكمـة الالهيـة خلق آدم واستخلافه فى الأرض ، بدا شيء ما فى تفكير الملائكة ، إذ اعتقدوا أن خلافة الله فى الأرض أولى بها العـابدون المطهرون من الخطايا عن أن تكون لمخلوقات لها القـدرة على سـفك الدم والافساد فى الأرض . لكن الملائـكة لمـا علموا بعد ذلك أن الفهم والعلم الذى تميز به آدم علاوة على اقبـاله على العبادة والتسـبيح بحمـد الله ـ كل ذلك يؤهله وذريته للخـلافة ـ فعندئذ ادركت الملائكة قبسـا من الحكمة الالهية :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسـماء كلهـا ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسـماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك

لا علم لنـــا الا ما علمتنـــا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبـــأهم باسمائهم ، قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب الســـماوات والأرض وأعلم ما تبـــدون وما كنتم تكتمـــون » .
(البقرة : ٣٠ ــ ٣٣)

ان هذا يبين لنا اهمية العلم فى حياة الانسان ، فكما كان العـلم هو اصل الفضل والتكريم لآدم فى المـاضى ، فلا شك ان مصير البشرية وما ينتظرها فى حاضرها ومستقبلها ، مرتبط تمـاما بالتقدم العـلمى وامكانية اتخاذه طريقا الى الخير يقرب الى الله ، او استخدامه فى الشر طريقا مدمرا خطه الشيطان .

*

وللملائكة احاسيس ، فهم يخشون الله ، وينفعلون فزعا من رهبـة المواقف والتجليات الالهية :

« ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخـافون ربهم من فوقهم ويفعـلون ما يؤمرون » .
(النحل : ٤٩ ــ ٥٠)

حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحـق وهو العلى الكبير » . (سبأ : ٢٣)

*

والملائكة درجات عند الله ، ولكل منهم مقام لا يتعداه :

« وما منا الا له مقام معـلوم . وانا لنحن الصـــافون . وانا لنحن المسبحون » . (الصافات : ١٦٤ ــ ١٦٦)

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله سميع بصير » .
(الحج : ٧٥)

والروح طبقة عليا من طبقات الملائكة ــ وهو من الطبقات المتميزة التى يعهد اليها بالاعمال المتميزة ، مثل السفارة بين الله والمكرمين من رسله ، الذين تنزل اليهم كتب الله ، آيات تتلى على مسامع البشرية . ولقـد كان جبريل هو الروح القدس الذى نزل بالقرآن على محمد خاتم النبيين :

« وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » . (الشعراء : ١٩٢ ــ ١٩٥)

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » . (النحل : ١٠٢)

*

والمؤمنون الصالحون درجات يتقدمهم طبقة ممتازة هم المقربون الى الله ـ سبحانه ـ من اجل ذلك يمنحهم الله عطاءا خاصا من عنده ، اذ يؤيدهم بروح من الملائكة يرعاهم ، ويعلمهم ، ويبشرهم بالخيرات :

« اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ». (المجادلة:٢٢)

ولما كان المسيح من انبياء الله المقربين ، فقد ايده الله بالروح القدس، ارقى الارواح ، وهو جبريل الأمين :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » . (آل عمران : ٤٥)

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ». (البقرة : ٥٣)

*

ولقد جعلت الملائكة رحمة للانسان . تحفظه من الاذى ، وتحميه من فعل الارواح الشريرة ، وتحفظ عليه حياته الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الانعام : ٦١)

وقد يعهد الى بعض الملائكة بمهام خاصة مثل رعاية بعض خلق الله المكرمين وحفظهم من شرور وعذاب منتظر .

وتتعاقب الملائكة على رعاية ذلك العبد الصالح وحفظه ما بقى سائرا فى الطريق الى الله ، وممسكا زمام نفسه عن التردى فى هاوية الخطايا والشهوات :

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » . (الرعد : ١١)

*

وللملائكة واجبات واعمال تقوم بها فى الكون الواسع ، وتتدخل احيانا فيما يبدو للانسان كانه ظواهر طبيعية ، سواء فى العالم الخارجى المحيط به او فى عالم نفسه وما يعتريها من افكار والهام وخطرات نفس ولهذا اقسم الله بها فى مواضع كثيرة من القرآن :

« والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا . عذرا أو نذرا » . (المرسلات:١-٦)

*

ولقد كانت الملائكة مع رسول الله فى هجرته من مكة الى المدينة ، وهم الذين تكفلوا باحباط كل مؤامرات المشركين لقتله والتخلص منه :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » . (التوبة : ٤٠)

وتتدخل الملائكة فى الحرب لتحقق النصر ، كما حدث مع المسلمين فى غزوة بدر ، وفى غزوة الاحزاب ، ويكون تدخلهم غالبا بتثبيت المنتصرين وتوجيههم الى وسائل تحقيق النصر .

ففى غزوة بدر كان المسلمون قلة فى العدد والتسليح لا يتميزون الا بما اطمئنت به قلوبهم من عقيدة التوحيد الخالص ، والثقة فى نصر الله ، الذى سعوا اليه بالعزم الصادق والتضرع الخالى من الغرور والكبرياء :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » . (الانفال : ٩ — ١٣)

وفى غزوة الاحزاب تدخلت الملائكة لصالح المسلمين — وكان ما فعلته بالكافرين ، وما القته فى قلوبهم من الرعب كفيلا بردهم خائبين منهزمين :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ..

ولما راى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . (الأحزاب : ٩ ، ٢٢ — ٢٥)

❁

وتبشر الملائكة المؤمنين الصادقين فى هذه الحياة بما يطمئنهم على مستقبلهم فى الحياة الآخرة ، فتمنحهم بذلك طاقات هائلة من اليقين والثبات ، يستعينون بها على شهوات الحياة وآلامها :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » . (فصلت : ٣٠ — ٣٢)

وحين يتعرض المؤمنون لغمرات الموت فان الملائكة تبشرهم بالخيرات، وتبعث فى نفوسهم الأمن والسكينة فلا يضطربون وهم ينتقلون من هذه الحياة الفانية الى اطوار تلك الحياة الباقية :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . (النحل : ٣٢)

واذا ما انقضت هذه الحياة ، وجاء يوم القيامة ، وهو يوم الفزع الأكبر لهول ما يصيب الكون من اضطراب ، فان الملائكة تستمر فى رعايتها للمؤمنين :

« لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الأنبياء : ١٠٣)

وفى الجنة ينعم المؤمنون بالملائكة رفقاء نعمة وسلام :

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد الله الذى صدقنا وعده واورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .
(الزمر : ٧٣ — ٧٥)

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . (الرعد : ٢٣ — ٢٤)

*

وعلى النقيض مما سبق يكون موقف الملائكة مع الكافرين والمنافقين المترددين . ذلك انه من بدء سكرات الموت فان الملائكة تتلقف اولئك الخاسرين بالتعنيف والإذى والحساب العسير على ما فرطوا فى جنب الله بعقائدهم الضالة الخبيثة ، ثم يعرضون عليهم مشاهد مما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة .

فذلك هو الحال مع كل من ضيع حياته لهوا ولعبا ، وذلك هو الحال مع الذين استغلوا اسم الله لجلب منافع رخيصة لهم وافتروا على الله الكذب ، وزعموا انه قد اوحى اليهم وانهم قد صاروا رسلا ، وفى الحقيقة لم يوح اليهم بشىء .

اولئك بحق اظلم الظالمين لانهم ضلوا انفسهم واضلوا الناس بغير علم .

« ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء ، ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم ، اخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام:٩٣—٩٤)

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد » . (الانفال : ٥٠ — ٥١)

« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ، بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين » . (النحل : ٢٨ — ٢٩)

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » . (النساء : ٩٧ : ٩٩)

*

وعلى الرغم مما راينا من الصلة الوثيقة بين الملائكة والانسان ، وخاصة فى المراحل المختلفة لما بعد الموت ، فانها لا تملك من امره شيئا سواء فى الدنيا او الاخرة . وكل ما يمكن قوله هو انهم جنود لله ، قد عهد اليهم بالتعامل مع الانسان حسب قواعد الهية عادلة ، وما على الجنود الا الطاعة والتنفيذ . وهذا الامر هين على الملائكة الذين عرفوا مهمتهم جيدا لانهم احاطوا بامر الانسان منذ نشاته حتى وفاته :

« وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » . (الانفطار : ١٠ — ١٢)

والحق ان الامر كله لله ، الذى تنزه عن ان يشاركه فيه احد غيره ، ولو كان نبيا او ملك :

« وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى » . (النجم : ٢٦)

« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ، ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » . (آل عمران : ٧٩ — ٨٠)

« لن يستكنف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليـــه جميعا . فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعـذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليـا ولا نصيرا » . (النساء : ١٧٢ — ١٧٣)

وعلى كل حال فان الملائكة ترق لحال الانسان فى الدنيا ، وتخشى عليه نتيجة خطاياه ، وهى لذلك تدعو له بالتـوبة والمغفرة عسى الله ان يعفو عنـه :

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، الا ان الله هو الغفور الرحيم » . (الشورى : ٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنـا وسعت كل شىء رحمـة وعلمـا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنـات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، انك انت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمتـه وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ — ٩)

❋

هـــذا — وبعد ان انتهت دراستنا لموضـــوع الملائكة فى القـرآن الكريم بهـذا الدعاء الملائكى الحنون — فان النصوص القرآنية الواردة فى امر الملائكة تدعونا الى ضرورة الايمـان بهم ، وبعلاقتهم الوطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته .

وكيف لا وهم قرناء للانسان ، رقباء على افعـــاله ، وهم الوسيلة والسفرة الذين انزلوا رسالة الله . ولقـد اوجب الله الايمان بهم واعتبر انكارهم كفرا وضلالا بعيدا ، وذلك فى قوله سبحانه :

« يا ايها الذين آمنـوا : آمنـوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضـل ضلالا بعيدا » . (النساء : ١٣٦)

❋ ❋ ❋

الفصل الثانى

الوحى

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهى المباشر .

ويعنى الوحى تجرد الانسان ليكون فى قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق او القناة التى يسرى فيها وحى الله من كلام ومشيئة (١) .

ونجمل ما سبق فى موضوع الوحى فنجد اننا نستطيع القول بان :

الوحى فى صورته العامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من اوحى اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم فى الغالب كتابات مقدسة .

وسوف نبحث فيما يلى حالات الوحى ووسائله .

* *

الوحى فى العهد القديم

كان اول الوحى الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« واخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . واوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تاكل اكلا . واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل منها . لانك يوم تاكل منها تموت — تكوين ٢ : ١٥ — ١٧ » .

وينفى كتبة الاسفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القاعدة الاصولية التى ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له اين انت ؟

---

(١) Encyclopaedia Britannica, 1960 —

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهى المباشر .

ويعنى الوحى تجرد الانسان ليكون فى قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطريق او القناة التى يسرى فيها وحى الله من كلام ومشيئة (١) .

ونجمل ما سبق فى موضوع الوحى فنجد اننا نستطيع القول بان :

الوحى فى صورته العامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من اوحى اليهم ، كما يكون نتاج هذا التعليم فى الغالب كتابات مقدسة .

وسوف نبحث فيما يلى حالات الوحى ووسائله .

* *

الوحى فى العهد القديم

كان اول الوحى الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« واخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . واوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تاكل اكلا . واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل منها . لانك يوم تاكل منها تموت — تكوين ٢ : ١٥ — ١٧ » .

وينفى كتبة الاسفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر ، وهذا يخالف القاعدة الاصولية التى ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له اين انت ؟

---

(١) Encyclopaedia Britannica, 1960 —

فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لانى عريان فاختبات .

فقال من اعلمك انك عريان . هـل اكلت من الشجرة التى اوصيتك ان لا تاكل منها .

فقال آدم المراة التى جعلتها معى هى اعطتنى من الشجرة فاكلت .

فقال الرب الاله للمراة ما هذا الذى فعلت ؟

فقالت المراة الحية غرتنى فاكلت ... — تكوين ٣ : ٨ — ١٣ » .

*

وكان وحى الله الى خلقه عن طريق الرؤيا التى يراها النسائم حتى اذا ما استيقظ من نومه شعر ان رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه ، واطمان بها قلبه وعلم ان ذلك وحى من الله .

فلقد كان هذا هو الحال مع إبراهيم أبى الانبياء خليل الرحمن :

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلا . لاتخف يا ابرام . انا ترس لك اجرك كثيرا جـدا . فقال ابرام ايهـا السيد الرب ماذا تعطينى وانا ماض عقيما .. — تكوين ١٥ : ١ — ٢ » .

وكانت الرؤيا هى سبيل الوحى لاغلب الانبياء :

« فى تلك الليـلة كان كلام الرب الى ناثان (النبى) قائلا . اذهب وقل لعبدى داود .. متى كملت ايامك واضطجعت مع آبائك اقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك واثبت مملكته .. هو يبنى بيتا لاسمى ..

فحسب جميع هـذا الكلام وحسب كل هـذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود — صموئيل الثانى ٧ : ٤ — ١٧ » .

« فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا اعطيك . فقال سليمان لله انك قد فعلت مع داود أبى رحمـة عظيمة وملكتنى مكانه .. فاعطنى الآن حكمـة ومعرفة .. فقال الله لسليمان من اجل ان هـذا كان فى قلبك .. قد اعطيتك حكمـة ومعرفة واعطيك غنى واموالا .. — أخبار الأيام الثانى ١ : ٧ — ١٢ » .

*

لكن اكثر وسائل الوحى شيوعا هو ما كان من ظهور الملائكة فى صور بشرية ، تخاطب البشر بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله . فذلك كان الحال مع ابراهيم ولوط ويعقوب ودانيال الذى تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الأنبياء .

وقد يسمع العبد الصالح أصواتا تناديه فلا يعيها اول الامر ، حتى اذا ما عرفه بخبرها احد ممن يقرءون الكتاب من قبله ويعرفون طرق الوحى المختلفة لتعليم البشر ، فعندئذ تطمئن نفس ذلك العبد الصالح لهذا الذى يأتيه ويعلم أنه قد صار نبيا يوحى اليه .

لقد كان هذا هو الحال مع صموئيل الذى كان صبيا يخدم فى بيت الرب مع الكاهن عالى . فقد حدث بالليل « اذ كان عالى مضطجعا . وعيناه ابتدأتا تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفىء سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله » أن سمع صموئيل صوتا يناديه باسمه فظنه الكاهن عالى ولذا ذهب اليه . فقال عالى « لم ادع . ارجع اضطجع . فذهب واضطجع » .

وتكرر ذلك مرتين اخريين وآنذاك فهم عالى انه صوت الوحى ينادى صموئيل فأمره أن يقول حين يسمع النداء « تكلم لأن عبدك سامع » وعندئذ تلقى صموئيل وحيا يقول : « هوذا انا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن اذناه . فى ذلك اليوم اقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته .. من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم .

وكبر صموئيل وكان الرب معه .. وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب — صموئيل الأول ٣ : ١ — ٢٠ » .

وجدير بالذكر أن اللعنة التى حلت بالكاهن عالى وبيته ، كانت بسبب فساد بنيه الذين اغتصبوا أموال بيت الرب ، وزادوا على ذلك أن اغتصبوا نساء اسرائيل وزنوا بهن فى بيت العبادة :

« وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع . فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لانى اسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب — صموئيل الأول ٢ : ٢٢ — ٢٣ » .

❋

وقد ينظر العبد الصالح الى السماء فيرى ظللا من النور او النار ، تشد نفسه اليها ، وتستولى على مشاعرها ، وعندئذ يسمع وحى الله ، فذلك كان أول الوحى الى موسى :

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى اميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لم تحترق العليقة .

فلما رأى الرب انه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى .

فقال هانذا . فقال لا تقترب الى ها هنا ..

ثم قال : انا اله ابيك ابراهيم واله اسحق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لانه خاف ان ينظر — خروج ٣ : ١ — ٦ » .

ولما كان الانسان بتركيبه البشرى وما قام فيه من ماديات ، لا يستطيع رؤية الله فى هذه الحياة الدنيا ، فانا نستطيع القول بان ما رآه موسى كان شيئا من مجد الله .

اذ بعد أن تمرس موسى على وحى الله ورأى من الآيات ما رأى ، اشتاقت نفسه ان ينظر الى الله ، فجاءه القول الحق :

« لا تقدر أن ترى وجهى . لأن الانسان لا يرانى ويعيش — خروج ٣٣ : ٢٠ » .

كذلك قد يسمع وحى الله آتيا من خلال السحاب وفى ظلل من الغمام :

« قال موسى لهارون قل لكل جماعة بنى اسرائيل اقتربوا الى امام الرب لانه قد سمع تذمركم . فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى اسرائيل انهم التفتوا نحو البرية . واذا مجد الرب قد ظهر فى السحاب .

فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى اسرائيل — خروج ١٦ : ٩ — ١٢ » .

*

وقد يرى العبد الصالح مناظر عجيبة فى السماء تصاحبها عواصف وزوابع ، ثم يجيئه صوت الوحى يعلمه ، كما كان الامر مع ايليا وحزقيال :

« كان كلام الرب اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال قد غرت غيرة للرب .. فقال اخرج وقف على الجبل .. واذا .. ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور .. وبعد الريح زلزلة .. وبعد الزلزلة نار ...

وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة واذا بصوت اليه يقول مالك ها هنا يا ايليا . فقال غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى اسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا انبياءك بحد السيف فبقيت انا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب اذهب راجعا فى طريقك الى دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على ارام . وامسح ياهو بن نمشى ملكا على اسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك ـ الملوك الأول ١٩ : ٩ ـ ١٦ » .

« كان فى سنة الثلاثين .. وانا بين المسبيين عند نهر جابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله .. صار كلام الرب الى حزقيال .. فى ارض الكلدانيين عند نهر خابور . وكانت عليه هناك يد الرب .

فنظر واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار . ومن وسطها شبه اربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه انسان . ولكل واحد اربعة أوجه ولكل واحد اربعة اجنحة . وأرجلها ارجل قائمة واقدام ارجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول . وايدى انسان تحت اجنحتها على جوانبها الاربعة . ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله . مثل منظر نار ولها لمعان من حولها . كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعان من حوله . هذا منظر شبه مجد الرب . ولما رأيته خررت على وجهى . وسمعت صوت متكلم ..

فقال الى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك . فدخل فى روح لما تكلم معى واقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى .

وقال لى يا ابن آدم انا مرسلك الى بنى اسرائيل الى امة متمردة قد تمردت على هم وآباؤهم عصوا على الى ذات هذا اليوم . والبنون

القساة الوجوه والصلاب القلوب انا مرسلك اليهم .. واما انت يا ابن آدم فلا تخف منهم .. انت ساكن بين العقـــارب .. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب لانهم بيت متمرد ..

وانت يا ابن آدم فاســـمع ما انا مكلمك به لا تكن متمـردا كالبيت المتمرد .. — حزقيال ١ — ٢ : ١ — ٨ » .

*

ونجـد الكثـير من اســـفار العهـد القـــديم قد كتب على اساس انه كان وحيـا نطـــق به عبد صـــالح جاءته كلمـة الله بطـــريقة ما . فذلك ما نجده فى أسفار الأنبياء الكبار مثل اشعياء وارميا :

« رؤيا اشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا واورشليم .. اســـمعى ايتها السماوات واصغى ايتها الأرض لان الرب يتكلم .

ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصـــوا على . الثـور يعرف قانيـه والحمار معلف صاحبه أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم .

ويل للأمة الخاطئـــة الشعب الثقيـل الاثم نســـل فاعلى الشر أولاد مفســـدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيـل ارتدوا الى وراء . علام تضربون بعد . تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم .. اشعياء ١ : ١ — ٥ » .

« كلام ارميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض بنيامين ، الذين كانت كلمـــة الرب اليـــه ..

كانت كلمة الرب الى قائلا . مثلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلمـا خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب . فقلت آه يا سيد الرب انى لا اعرف ان اتكلم لانى ولد . فقال الرب لى لا تقـــل انى ولد لانك الى كل من ارسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به . لا تخف من وجوههم لانى انا معك لانقذك يقول الرب .

وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر قد وكلتك هـذا اليوم على الشعب والممالك لتقطع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس — ارميا ١ : ١ — ١٠ » .

كذلك كان الحال مع الأنبياء الاثنى عشر الاصاغر وهم : هوشـــع ، ويوئيـــل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ،

وصفينا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى ، اذ ان الأسفار التى تحمل أسماءهم قد جمعت باعتبارها وحى الله اليهم ، انفعلت به نفوسهم حتى فاضت به السنتهم :

« قول الرب الذى صار الى يوئيل بن فثوئيل .

اسمعوا هذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض ..

اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر .. — يوئيل ١ : ١ — ٥ » .

« أقوال عاموس الذى كان بين الرعاة من تقوع التى رآها عن اسرائيل .

فقال ان الرب يزمجر من صهيون ويعطى صوته من اورشليم فتنوح مراعى الرعاة ويبس رأس الكرمل .. — عاموس ١ : ١ — ٢ » .

« رؤيا عوبديا .

هكذا قال السيد الرب عن ادوم . سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسول بين الأمم . قوموا ولنقم عليها للحرب .. — عوبديا ١ : ١ » .

« صار قول الرب الى يونان بن امتاى قائلا . قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لانه قد صعد شرهم امامى.. — يونان١ : ١—٢ » .

« قول الرب الذى صار الى ميخا المورشتى ..

اسمعوا أيتها الشعوب . جميعكم ، اصغى أيتها الأرض وملؤها وليكن السيد الرب شاهدا عليكم من هيكل قدسه .. — ميخا ١ : ١ — ٢ » .

« وحى على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الالقوشى .

الرب اله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه .. — ناحوم ١ : ١ — ٢ » .

« كلمة الرب التى صارت الى صفنيا بن كوشى ..

نزعا أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب . أنزع الانسان والحيوان. أنزع طيور السماء وسمك البحر والمعاثر مع الأشرار واقطع الانسان عن وجه الأرض يقول الرب — صفينا ١ : ١ — ٣ » .

« فى السنة الثانية لداريوس الملك .. كانت كلمة الرب عن يد حجى النبى الى زربابل هكذا قال رب الجنود قائلا . هذا الشعب قال ان الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب — حجى ١ : ١ — ٢ » .

« فى الشهر الثامن فى السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا بن برخيا بن عدو النبى قائلا . قد غضب الرب غضبا على آبائكم .. — ١ : ١ — ٢ » .

« وحى كلمة الرب لاسرائيل عن يد ملاخى ..

أحببتكم قال الرب . وقلتم بم احببتنا ..

الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده . فان كنت أنا أبا فأين كرامتى وان كنت سيدا فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمى وتقولون بم احتقرنا اسمك .. — ملاخى ١ : ١ — ٦ » .

*

ولقد عرفنا ان من الملائكة ارواحا متميزة اذا ما حلت بالعبد الصالح انطقته بوحى الله ، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشرية وتعى ما يقول .

ولذلك قال موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا انبياء اذ جعل الرب روحه عليهم .. — عدد ١١ : ٢٩ » .

وكان كلام صموئيل النبى الى شاول وهو يعلمه احدى طرق الوحى :

« عند مجيئك الى هناك الى المدينة انك تصادف زمرة من الانبياء نازلين من المرتفعة .. وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول الى رجل آخر ..

وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل ان الله أعطاه قلبا آخر ..

ولما جاءوا الى هناك الى جبعة اذا بزمرة من الانبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم — صموئيل الأول ١٠ : ٥ — ١٠ » .

« وهذه هى كلمات داود الاخيرة : وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح اله يعقوب ومرنم اسرائيل الحلو . روح

«الرب تكلم بي وكلمته على لساني قال اله اسرائيل الى .. اذا اتسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله وكنور الصباح اذا اشرقت الشمس — صموئيل الثاني ٢٣ : ١ — ٤ » .

ويحكي حزقيـــال بدء الوحي اليــه فيقول « سمعت المتكلم معي . وقال لي يا ابن آدم انا مرسلك الى بني اسرائيـــل الى امـــة متمردة — حزقيـــال ٢ : ٢ — ٣ .

* *

وبعد — ان خلاصة القول في موضوع الوحي كما تبينه دراسة اسفار العهد القـــديم تعلمنا أن « رجال الله » الذين عاشـــوا على الأرض قبل ان يوجد اسرائيل وذريته ، وكذلك الذين ظهـــروا في الشعب الاسرائيلي من انبيـــاء ومرسلين ، قد تلقوا وحي الله بطرق مختلفة ، يمكن اعتبارها مرجعا مقارنا لدراسة حالات الوحي ، كما يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ — الوحي بالكلام شبه المباشر بين الله والانسان ، او بتعبير ادق بانه كلام « من وراء حجاب » وقد تعرض لذلك آدم وموسى .

٢ — الوحي بالرؤيا المنامية كما حدث لابراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم .

٣ — ظهور الملائكة في صور بشرية تعلم النـــاس بلغاتهم وحي الله ، وتلك احدى الطرق الشائعة التي تعلم بها ابراهيم ولوط ويعقوب وايليـــا ودانيـــال الذي علمـــه جبريل .

٤ — ظهور الملائكة في طبيعتها النورانية تصاحبها هالات من النـــور أو النـــار وظلل من الغمام ، ومن وراء ذلك يأتي صوت الوحي كما حـــدث لموسى وايليـــا وحزقيال .

٥ — وقد تســـمع أصـــوات الملائـــكة من بعد وفي خفـــاء وهي تلقي بالوحي الى العبد الصالح ، كما كان الحال مع صموئيل وغيره .

٦ — وقد يحـــل روح من الله على العبـــد الصالح وعندئذ قد تتغير حالته الطبيعية ويلقى اليه بالوحي فيعيه وينكلم به ، كما حـــدث لشـــاول وداود وايليـــا وحزقيال .

٧ — كذلك قد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلاما يشتهر بين الناس بانه وحى الله . ونجد ذلك ما كان من امر الانبياء : اشعياء ، وارميا ، ويوئيل ، وعاموس ، وبقية الانبياء الاثنى عشر .

ومن الواضح ان العبد الصالح يمكن ان يأتيه الوحى بطرق مختلفة .

هذا — ومن البديهيات المسلم بها هو ان الوحى اولا واخيرا يرتبط بمن اوحى اليه ، لذلك كان ايمان الناس بصدق الوحى يجب ان يسبقه ايمانهم بصدق من اوحى اليه ، وثقتهم فى امانته ، وما اشتهر به من طهر وفضل . واذا كان ذلك الذى اوحى اليه قد تعفف عن الكذب على الناس ، فمن باب اولى انه لابد وان يتحرز من الكذب على الله . ان هذا امر لا يقبل الجدل .

ومن رحمة الله بخلقه ان اصطفى من الناس انبياءه ورسله ، ممن عطرت سيرتهم ، وطابت ذكراهم ، وكانوا فوق مستوى الشبهات .

* * *

الوحى فى العهد الجديد

تقرر اسفار العهد الجديد ان طرق الوحى الى انبياء الله كثيرة ومتنوعة ، وانها جميعا تهدف الى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين جعلوا ائمة للبشر :

« الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بانواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى (المسيح) — عبرانيين ١ : ١ — ٢ » .

وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحى التى اشرنا اليها فى الفصل السابق . وبجانب ذلك فاننا نجد فى اسفار العهد الجديد تفصيلا لحالات الوحى ووسائله ، ومنها :

ظهور الملائكة للبشر فى صورة جسمية ، تخاطبهم بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله كما فعل جبريل مع زكريا حين بشره بابنه يحيى :

« بينما هو يكهن فى نوبة فرقته امام الله .. ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لان طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ..

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لانى شيخ وامراتى متقدمة فى ايامها . فاجاب الملاك وقال له انا جبرائيل الواقف قدام الله وارسلت لاكلمك وابشرك بهذا — لوقا ١ : ٨ — ١٩ » .

ويكون الوحى برؤيا يراها العبد الصالح فى نومه ويوقن انها تعليم من السماء فيتصرف على هذا الأساس . وقد حدث ذلك ليوسف النجار خطيب مريم ، الذى لما عرف سر حملها لم يستجب لوساوسه فى امرها ، ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح ابنها البكر :

« اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ ان يشهرها اراد تخليتها سرا .

ولكن فيما هو متفكر فى هذه الامور اذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع .. لانه يخلص شعبه من خطاياهم .. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما امره ملاك الرب وأخذ امراته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع — متى ١:١٨—٢٥ » .

ولقد تعرض المجوس الذين زاروا مريم وابنها ، الى وحي فى الرؤيا المنامية أبعدهم عن طريق هيرودس الملك الذى كان يطلب قتل الصبى المبارك :

« أتوا الى البيت ورأوا الصبى مع أمه مريم . فخروا وسجدوا له .. ثم اذ اوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى الى كورتهم — متى ٢ : ١١ — ١٢ » .

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية الى يوسف النجار :

« وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب الي مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصر .

فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل .. ولما سمع أن ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس ابيه خاف أن يذهب الى هناك .

واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل . وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة — متى ٢ : ١٣ — ٢٣ » .

*

ويكون الوحي بحلول الروح على العبد الصالح ، فينطق بالحق ويقول الصدق . ولقد اعلن المسيح أن نبوءته قد تحققت بروح الله الذى حل عليه ، والذى ايده الله به :

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ..

فدفع اليه سفر اشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه . **روح الرب على** لانه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لاشفى المنكسرى القلوب .. ثم طوى السفر وسلمه للخادم ..

وحل الروح على تلاميذ المسيح ومن معهم فاصابتهم حالة الوحى ، وعندئذ سخر اليهود منهم وظنوهم سكارى ومخبولين — فقام بطرس يوضح الموقف ويقرران حلول روح الله على الجموع من الناس انما كان تحقيقا لنبوءة وردت فى أسفار العهد القديم عما سيكون فى آخر الزمان — وهو الزمان الذى عاش فيه بطرس ومن معه منذ نحو عشرين قرنا مضت حتى الآن ويقول :

« امتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما اعطاهم الروح أن ينطقوا .. فبهت الجميع وتعجبوا .. وكان آخرون يستهزءون .. فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود .. ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا الى كلامى . لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون . لأن الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبى . يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة انى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاما . وعلى عبيدى أيضا وامائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون — أعمال الرسل ٢ : ٤ — ١٨ » .

*

والخلاصة ان حالات الوحى ووسائله فى المسيحية لا تخرج عما رأيناه فى اليهودية .

* *

هذا — واذا كانت أغلب أسفار العهد القديم قد قرر كاتبوها انها وحى سماوى نطقت به السنة الأنبياء — وقد رأينا ذلك سلفا — فان الأمر يختلف تماما بالنسبة لأسفار العهد الجديد . ذلك ان الأغلبية العظمى من هذه الأسفار تقرر صراحة او ضمنا ، انها مجهودات خاصة ، وكتابات شخصية ، انشاها كاتبوها لبيان قصة المسيح ، ورسالته ونشاط تلاميذه — كما عرفها اولئك الكتاب .

ويتبين ذلك من دراسة هذه الأسفار على النحو التالى :

(أ) الاناجيل :

١ — انجيل لوقا :

يبدأ لوقا انجيله ببيان ما دفعه الى تأليفه فيقول :

« اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت انا

ايضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالي اليك ايها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به — لوقا ١:١—٤ ».

ويتضح من ذلك عدة أمور :

— ان كثيرين قد اخذوا فى تاليف قصص عن المسيح وبشارته ، وهم قد كتبوا اناجيل من عندهم ومن المعلوم أن القرون الأولى من الميلاد قد انتشرت فيها اناجيل كثيرة .

— وأن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية الى عزيزه ثاوفلس الذى قيل انه كان ثريا من الاسكندرية .

— وأن لوقا كتب رسالته الى ثاوفلس بدافع من نفسه : (رايت انا ايضا) وانه عمل فى رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق) .

— ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سوف يكون سفرا مقدسا يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

وغنى عن البيان أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه وتربوا بين يديه . ومن المعلوم كذلك ان كتابات الوحى لا بد وأن ينمحى فيها كل اثر للجهود الشخصية للعبد الصالح ، الذى لا يكون عمله سوى التوصيل بأمانة لكلمة السماء .

*

٢ — انجيل متى :

يقرر الكاتب ان ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم ..

اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم امه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس — متى ١ : ١ ، ٨ » .

وليس فى هذا الكلام او فى غيره ما ينص على انه وحى من الله .

*

٣ — انجيل مرقس :

وما قيل عن انجيل متى يقال عن انجيل مرقس بالنسبة لموضوع الوحى ، الا أن كاتب انجيل مرقس قرر أن يسمى كتابه انجيلا فقال :

« بدء انجيل يسوع المسيح — مرقس ١ : ١ » .

*

٤ — انجيل يوحنا :

يختلف هذا الانجيل عن الثلاثة الأول بنزعته الفلسفية ، لكنه يقرر امرا هاما وهو انه قد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وروى قصته لتصل به الى النتيجة التى أرادها ، وهى الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله . فهو يقول :

« وآيات اخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . واما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله — يوحنا ٢٠ : ٣٠ — ٣١ » .

ويختم الكاتب كتابه فيقول :

« هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم ان شهادته حق .

واشياء اخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة — يوحنا ٢١ : ٢٤ — ٢٥ » .

ومن البديهيات أن وحى الله الى خلقه لا يقوم على ظنون وتخمينات ، انما يقرر الحق المجرد الخالى من القصور أو المبالغات .

*

(ب) اعمال الرسل :

لقد اخذ الجزء الأول من رسالة لوقا الى عزيزه ثاوفلس وعرف باسم

« انجيل لوقا » واما الجـــزء الباقى من تلك الرسالة فقد عرف باســم « اعمال الرسل » — اذ انه يحكى حال تلاميذ المسيح ومن انضم اليهم بعد رفعه الى السماء . كذلك فانه يبين المجهودات التى أسهم بها أولئك الدعاة فى نشر المسيحية فى ايامها الاولى .

وفى هــذا يقول لوقا كاتب الرسالة ومنشؤها :

« الكلام الاول انشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتــدأ يســوع يفعله ويعلم به الى اليوم الذى ارتفع فيه بعدما اوصى بالروح القدس الرســل الذين اختارهم — اعمال الرسل ١ : ١ — ٢ » .

*

(ج) رسائل بولس :

ما كان بولس من تلاميــذ المسيح ورســله ، وما راى المسيح ولو مرة واحــــدة فى حياته ، لكنــه اشــتهر فى زمانه بتعصبه لليهوديته واضطهاده للمسيحيين . ولقد اتهم كثيرا بالسطو على الكنيسة ثم فجاة اعلن بولس نفسه رسولا للمسيح بعد قصــة رواها عن نفسه وشــك فيها التلاميذ ، ولهذا رفضوا دخوله فى مجتمعهم ، لولا شــفاعة برنابا الرجل الصــالح الذى كانوا يثقون فيه .

وفى هذا تقول رسالة الاعمال :

« اما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة . وطلب منه رسائل إلى دمشــق الى الجماعات حتى اذا وجــد اناسا من الطــريق رجالا او نساء يســوقهم موثقين الى اورشليم وفى ذهابه حدث انه اقترب الى دمشق فبغتــة ابرق حوله نور من السماء فسقط على الارض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضــطهدنى فقال من انت يا سيد — **فقــال الرب انا يســوع** الذى انت تضطهده .. فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد ان افعــل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى ان تفعل ..

وكان شاول مع التلاميــذ الذين فى دمشــق اياما . وللوقت جعــل يكرز فى المجامع بالمسيح ان هــذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا اليس هــذا هو الذى اهلك فى اورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء الى هنا لهــذا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة ..

ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ . فاخذه برنابا واحضره الى الرسل وحدثهم كيف ابصر الرب فى الطريق وانه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع — اعمال الرسل ٩ : ١ — ٢٨ » .

ويقرر سفر اعمال الرسل ان تلك الرؤيا النورانية لم يكن لها من شهود سوى بولس ، حتى ان الرجال المسافرين معه لم يروا شيئا مما تحدث عنه :

« واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا — اعمال الرسل ٩ : ٧ » .

لكن هنا وقفة لابد منها ، ذلك ان سفر اعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة اخرى عن تلك الرؤيا — التى اقتحم بها بولس المسيحية ليجعل نفسه مبشرها الاكبر فيما بعد — فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة . فهو يقول هذه المرة على لسان بولس :

« ابرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الارض وسمعت صوتا .. قال لى انا يسوع الناصرى .. **والذين كانوا معى نظروا النور . . لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** — اعمال الرسل ٢٢ : ٦ — ٩ » .

فعلى حسب الرواية الأولى نجد ان المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور ، واما حسب الرواية الثانية فانهم نظروا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت !

*

وكذلك ما راى بولس احدا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب اخا المسيح وذلك بعد مدة تزيد عن الثلاث سنوات كان قد بدا فيها الدعوة الى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ او تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله . وفى هذا يقول بولس عن نفسه :

« لما سر الله الذى افرزنى من بطن امى ودعانى بنعمته . ان يعلن ابنه فى لابشر به بين الامم للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى العربية ثم رجعت ايضا الى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لاتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما . ولكننى لم ار غيره من الرسل الا يعقوب اخا الرب .

والذى اكتب به اليكم هو ذا قدام الله انى لست اكذب فيه .

وبعد ذلك جئت الى اقاليم سورية وكيليكية ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح — غلاطية ١:١٥—٢٢».

ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد عن اربعة عشر عاما حتى حدث ما اضطره أن يعود الى اورشليم ليعرض على كبار التلاميذ « المعتبرين » التعاليم التى بشر بها وليتأكد منهم أن ما أشاعه فى **الدعوة كان خاليا من الاباطيل** . ويروى بولس انهم وافقوه على التبشير بين الأمم غير اليهودية :

« ثم بعد اربع عشرة سنة صعدت ايضا الى اورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس ايضا . وانما صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى اكرز به بين الامم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا اكون اسعى أو قد سعيت باطلا .. فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء بل بالعكس اذ رأوا انى اؤتمنت على انجيل الغرلة كما بطرس على انجيل الختان ..

فاذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرين انهم اعمدة اعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم واما هم فللختان . غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن افعله — غلاطية٢:١—١٠».

*

ولقد حرص بولس دائما على أن يضع نفسه بين افضل رسل المسيح، وكان يرى انه يستطيع التصدر فى الدعوة المسيحية وحيدا ، دون ما حاجة الى معاونة او توجيه . فهو يقول فى رسائله :

« ألست انا رسولا . ألست انا حرا . اما رأيت يسوع المسيح ربنا — (١) كورنثوس ٩ : ١ » .

« فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله — (١) كورنثوس : ٤ : ١ » .

« ليتكم تحتملون غباوتى قليلا . بل انتم محتملى .. انى احسب انى لم انقص شيئا عن فائقى الرسل . وان كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم — (٢) كورنثوس ١١ : ١ — ٦ » .

« استحسنا من الله ان نؤتمن على الانجيل — (١) تسالونيكى ٢ : ٤ » .

« انى اقول لكم ايهـا الامم بما انى رسـول للأمم امجد خدمتى — رومية ١١ : ١٣ » .

« قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعى حفظت الايمان . واخيرا قد وضع لى اكليل البر — (٢) تيموثاوس ٤ : ٧ — ٨ » .

وقرر بولس فى رسائله ان تعاليمه فى المسيحية هى شىء يختص به ، وينفرد باعلانه :

« واعرفكم ايها الاخـوة الانجيـل الذى بشرت به انه ليس بحسب انسان . لانى لم اقبله من عند انسان ولا علمته . بل باعلان يسوع المسيح — غلاطيه ١ : ١١ — ١٢ » .

ولقد مر بنا منذ قليل قوله : « لم استشر لحما ودما .. ولا صعدت الى الرسل الذين قبلى » .

*

وسار بولس فى الدعوة الى المسيحية وفق مبـدأ اختطه لنفسه ، وهو ان يكسب اكبر عدد من الاتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم للعقيدة الجديدة ، وايمـانهم بهـا ايمـانا خاليـا من شوائب عقائدهم السابقة . ولقد نتج عن ذلك أن دخـل كثـيرون فى المسيحية على يد بولس بأفكارهم وعقائدهم القديمة ، واغلبها عقائد وثنية . ذلك أن ما كان يطمع فيه بولس هو أن ينشىء « كمنولث مسيحى » يقـوم على أفراد وطوائف شـتى يكفى الا يربطها سوى اسم المسيح والصليب . ويرى الباحثون ان فكرة الكومنولث المسيحى قد تأثر بها بولس من الأحوال السياسية والأفكار الفلسفية التى كانت سـائدة آنذاك فى العـالم الرومانى الوثنى . وفى هـذا يقـول تشـالز دود :

« لقد أوضحنا سلفا أن فكرة الكمنولث العالمى كانت شائعة فى العالم الوثنى وكانت روما فى تأثرها بالمثـل العالية للرواقيين — الذين قدموا فى ايام بولس رئيسا لوزراء الامبراطورية ، وفى القرن التالى له اعتلى احدهم عرش الامبراطورية — فحـاول تأسيس ذلك الكمنولث — ولقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الأفكار (١) » .

---

(١) C. H. Dodd : The Meaning of paul For Today, F. B., London, 1964, P. 49

ومن اجل ذلك لم يتحرز بولس عن استخدام كل الوسائل لكسب الاتباع :

« اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الاكثرين . فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كانى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كانى بلا ناموس . لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء — صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهذا انا افعله لأجل الانجيل لاكون شريكا فى — (١) كورنثوس ٩ : ١٩ — ٢٣ » .

ولم يكن هناك حرج من الكذب فى الدعوة طالما قد عرف الناس اسم الله :

« ان كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلماذا أدان انا بعد كخاطىء — روميه ٣ : ٧ » .

*

اما برنابا الذى قدم بولس للتلاميذ فقد كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القدس ، وكان رسولا مفوضا من التلاميذ الى مختلف المدن وكنائسها ليبشر بتعاليم المسيح . وكان يدعو بولس لمرافقته فى رحلاته التبشيرية . وقد استمرت جهود برنابا مخلصة للدعوة المسيحية طيلة حياته :

« ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ هو لاوى قبرسى الجنس . اذ كان له حقل باعه واتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل — اعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧ » .

« سمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى اورشليم فارسلوا برنابا لكى يجتاز الى انطاكية الذى لما اتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب .

لانه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والايمان فانضم الى الرب جمع غفير .

ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجده جاء به الى انطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا . ودعى التلاميذ مسيحيين فى انطاكية اولا — أعمال الرسل ١١ : ٢٢ — ٢٦ » .

لكن الوفاق بين برنابا وبولس لم يلبث ان انفض ، وحدثت بينهما مشاجرة لعدة اسباب منها تعصب بولس وانكاره الدعوة المسيحية ، فذهب كل منهما لحال سبيله :

« ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا أن يأخذا معهما ايضا يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر — اعمال الرسل ١٥ : ٣٦ — ٣٩ » .

ولم تكن آراء بولس ومعتقداته مخالفة لبرنابا فقط ، بل انها كانت موضع مؤاخذة من تلاميذ المسيح ورسله . فقد شاع عن بولس انه يحقر الناموس ويدعو الى ابطال العمل به . وقد كان هذا سببا فى تذمر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، وهم الذين تعلموا أن المسيح قد عظم الناموس ودعا دائما الى التمسك به :

« ولما وصلنا الى أورشليم قبلنا الاخوة بفرح . وفى الغد دخل بولس معنا الى يعقوب وحضر جميع المشايخ .. وقالوا له انت ترى ايها الاخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا هم جميعا غيورون للناموس . **وقد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الامم الارتداد عن موسى** قائلا ان لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد . فاذا ماذا يكون لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لانهم سيسمعون انك قد جئت فافعل هذا الذى نقول لك . عندنا أربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شىء مما اخبروا عنك بل تسلك أنت أيضا حافظا للناموس .

حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم — اعمال الرسل ٢١ : ١٧ — ٢٦ » .

ومهما كان من تظاهر بولس بمجاملة الناموس ، فان هذا لا يغير

من حقيقة الأمر شيئا وهو ان بولس عمل دائما على ابطال الناموس وأحكامه، مخالفا بذلك تعاليم المسيح الذى قال :

« لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس او الأنبياء . ما جئت لانقض بل لاكمل فانى الحق أقول لكم الى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

ان رسائل بولس لهى خير شاهد على موقفه من الناموس وتعاليمه ، فهو يقول :

« أيها الغلاطيون الأغبياء .. اريد ان اتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس اخذتم الروح ام بخبر الايمان . أهكذا انتم اغبياء .

جميع الذين هم من اعمال الناموس هم تحت لعنة لانه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به .

ولكن ان ليس احد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها ..

قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب — غلاطية ٣ : ١ — ٢٥ » .

« أنا بولس اقول لكم انه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا .

قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة — غلاطية ٥ : ٢ — ٤ » .

« انه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها اذ الناموس لم يكمل شيئا — عبرانيين ٧ : ١٨ — ١٩ » .

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال — عبرانيين٨:١٣ » .

وكذلك تصارع بولس مع بطرس — شيخ التلاميذ — واتهمه بالرياء ، ومخالفة انجيل المسيح :

« لما اتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لانه كان ملوما . لانه قبلما اتى قوم من عند يعقوب كان ياكل مع الأمم ولكن لما اتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان . وراى معه باقى اليهود ايضا

حتى أن برنابا أيضا انقاد الى رياثهم . ولكن لما رايت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وانت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا - غلاطية ٢ : ١١ - ١٤ » .

ولو كان بولس من تلاميذ المسيح ، او لو كان هناك انجيل مكتوب فى ايام بولس يقرأ منه ، لما كان هذا موقفه من بطرس الذى قال له المسيح :

« أنا اقول لك أيضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وابواب الجحيم لن تقوى عليها . واعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات - متى ١٦ : ١٨ - ١٩ » .

لكن الذى حدث هو أن ما ربطه بطرس على الأرض حله بولس على الأرض ايضا .

ذلك بعض ما كان من أمر بولس وتعاليمه التى أوجدها فى المسيحية وكان من وراء ذلك ما كان .

*

هذا - ولننظر الآن فى رسائل بولس لنرى كيف كتبت ، وحقيقة امرها من ناحية الوحى .

١ - لقد كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى شكلها العام ، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتاكيد على انه رسول للمسيح ، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات ، واخيرا يختمها بالحديث عن الاشواق والقبلات الى النساء والرجال على السواء :

« بولس عبد اليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله .. الى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١ : ١ - ٧ » .

« أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى اى شىء احتاجته منكم . لانها صارت مساعدة لكثيرين ولى انا أيضا .

سلموا على ابينتوس حبيبى .. سلموا على مريم التى تعبت لاجلنا كثيرا . سلموا على اندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى الذين هما مشهوران بين الرسل ..

سلموا على امبلياس حبيبى فى الرب ..

سلموا على هيروديون نسيبى ..

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب ..

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى امه امى ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ..

يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى ولوكيوس وياسون وسوسيباترس انسبائى — رومية ١٦ : ١ — ٢١ » .

« بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله .. نعمة لكم وسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح — (١) كورنثوس ١ : ١ — ٣ » .

« يسلم عليكم الاخوة اجمعون .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة — (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ » .

« اخيرا ايها الاخوة افرحوا .. سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة — (٢) كورنثوس ١٣ : ١١ — ١٢ » .

سلموا على الاخوة جميعا بقبلة مقدسة — (١) تسالونيكى ٥ : ٢٦ » .

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب امر الله .. الى تيموثاوس الابن الصريح فى الايمان نعمة ورحمة وسلام من الله ابينا والمسيح يسوع ربنا — (١) تيموثاوس ١ : ١ — ٢ » .

سلم على فرسكا واكيلا وبيت اتيسيفورس .. يسلم عليك افبولس — (٢) تيموثاوس ٤ ١٩ ، ٢١ » .

« بولس اسير يسوع المسيح وتيموثاوس الاخ الى فليمون المحبوب والعامل معنا والى ابفية المحبوبة — فليمون ١ : ١ — ٢ » .

٢ — وكانت كتابات بولس رسائل شخصية بما احتوته من مطالب وشكاوى وامور شخصية بحتة :

« بادر أن تجيء سريعا لأن ديماس قد تركنى .. لوقا وحده معى . خذ مرقس واحضره معك لانه نافع لى للخدمة .

الدواء الذى تركته فى تراوس عند كاربس احضره متى جئت ..

اسكندر النحاس اظهر لى شرورا كثيرة .. فاحتفظ منه انت ايضا لانه قاوم اقوالنا جدا . بادر أن تجيء قبل الشتاء — (٢) تيماثاوس ٤ : ٩ — ٢١ » .

« حينما أرسل اليك ارتيماس او تيخيكس بادر أن تأتى الى نيكوبوليس لانى عزمت أن أشتى هناك — تيطس ٣ : ١٢ » .

« انا واثق باطاعتك كتبت اليك عالما انك تفعل ايضا اكثر مما اقول. ومع هذا اعدد لى ايضا منزلا لانى ارجو اننى بصلواتكم سأوهب لكم — فليمون ١ : ٢١ — ٢٢ » .

٣ — كذلك كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى مضمونها اذ اعترف فيها صراحة بانه كتبها من نفسه ، وابرز فيها آراءه واجتهاداته الشخصية التى قد تتفق وتعاليم المسيح او لا تتفق :

« اما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل ان لا يمس امراة .. واما الباقون **فاقول لهم انا لا الرب** ان كان اخ له امراة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. واما العذارى **فليس عندى امر من الرب فيهن ولكننى اعطى رايا ..**

المراة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ولكنها اكثر غبطة ان لبثت هكذا **بحسب رايى .. واظن انى انا ايضا عندى روح الله** — (١) كورنثوس ٧ : ١ — ٤٠ » .

« **لست اقول على سبيل الامر بل باجتهاد** آخرين مختبرا اخلاص محبتكم .. **اعطى رايا فى هذا** ايضا لان هذا ينفعكم — (٢) كورنثوس ٨ : ٨ ، ١٠ » .

« من جهة الخدمة للقديسين هو فضول منى أن اكتب اليكم — (٢) كورنثوس ٩ : ١ » .

« هذا اكتبه اليك راجيا ان آتى اليك عن قريب — (١) تيموثاوس ٣ : ١٤ » .

* *

(د) رسائل التلاميذ :

لا تختلف كثيرا رسائل التلاميذ عن رسائل بولس الا فى وضوح هدف كتبة تلك الرسائل وبيان تعاليمهم التى كانت مواعظ شخصية .

ففى رسالة بطرس الأولى نجدها تبدأ :

« بطـــرس رســول يسوع المسيح الى المتغربين من شـتات بنتس وغلاطية .. بمقتضى الآب .. لتكثر لكم النعمة والسلام .

وتنتهى الرسالة :

(بيـد سلوانس الأخ الأمين كما اظن كتبت اليـكم بكلمات قليـلة واعظا ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة » .

*

كذلك كانت رسالة يوحنا الثالثة تمثل رسالة شخصية الى :

« غايس الحبيب الذى أنا أحبـه بالحق .

ايها الحبيب فى كل شىء أروم ان تكون ناجحا وصحيحا كما ان نفسك ناجحـة ..

ايهـا الحبيب ان تفعـل بالأمانة كل ما تصنعه الى الاخـوة والى الغـرباء ..

ايها الحبيب لا تتمثل بالشر ..

كان لى كثير لاكتبه لكننى لست اريد ان اكتب اليك بحبر وقلم .. ولكننى ارجو أن اراك عن قريب ..

فنتكلم فمالفم . سلام لك يسلم عليك الاحباء .

سلم على الاحبـاء باسمائهم » .

*

والآن نستطيع القـول بان حالات الوحى ووسائله فى اسفار العهـد الجديد لم تخرج عن نطاق ما سبق بيانه فى اسفار العهد القديم .

كذلك فان اسفار العهد الجـديد قد كتب اغلبها بالجهود الشخصية لاصحابها لتحكى ما كان من امر المسيح ورسالته فى صدرها الاول .

* * *

الوحى فى القرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير من اخبار الوحى ووسائله مع الانبيـاء السابقين فنعلم الآتى :

قد يكون الوحى بالرؤيا المنامية ، يراها العبد الصالح ، ويوقن انها وحى الله ، وعندئذ يتبع ما اوحى اليه ويسير على هديه .

ولقد كان ذلك هو الحـال مع ابراهيم حين ابتـلاه الله بذبح ولده الوحيـد الذى لم يرزق به الا فى شيخوخته . وقام ابراهيم بعزم المؤمنين ينفـذ الأمر رغـم ما كان يعانيـه من صراعات وآلام . ولكن رحمـة الله تداركت الوالد الصادق والوليـد الصـابر ، وصرفت عنهما ذلك الكرب العظيم :

« فبشرناه بغـلام حليم . فلمـا بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنـام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شـاء الله من الصابرين . فلمـا اسلما وتـله للجبين . وناديناه ان يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هـذا لهو البـلاء المبين » . (الصافات : ١٠١ ـ ١٠٦)

*

ويكون الوحى بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحى الله وتعليمه الى المصطفين من خلقه وتخاطبهم بلغاتهم . وقد تعـرض لذلك ابراهيم حين جاءته البشرى بولده اسحق من زوجه العاقر سارة .

وحدث ذلك مع لوط حين جاءه النذير باهلاك قومه ـ وقد رأينـا ذلك سلفا .

*

كذلك يكون الوحى بسـماع اصوات الملائكة وهى تلقى وحى الله الى العبيد الصالحين مثل ما كان من أمر زكريا ، ومريم ، حين جاءتهما البشرى بوليد منتظر :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك

سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ..

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .
(آل عمران : ٣٨ — ٣٩ ، ٤٥)

*

وتلقى موسى وحى الله فى صور شتى . فقد كان اول الوحى اليه نداء الهى ، احس موسى انه صادر من الشجرة المتلالئة المباركة ، وأيقن انه كلام الله :

« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين » .
(القصص : ٢٩ — ٣٠)

*

ويبين القرآن الكريم فى وضوح طرق تلقى اعظم الوحى — الا وهو كلام الله — فيقول :

« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم » .
(الشورى : ٥١)

والمراد من الوحى فى قوله تعالى : « أن يكلمه الله الا وحيا » هو الالهام حيث تفرض على العبد الصالح حالة لا دخل له فى تحديد كل ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، ولكنها حالة « فيض الهى » يتعرض لها حتى اذا ما فارقته كان قد وعى تماما ما ألهم به .

ومن ذلك ما حدث لام موسى فيما حكاه الله بقوله :

« وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه ، فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »
(القصص : ٧)

اما الحالة الثانية فهى الكلام « من وراء حجاب » كما حدث لموسى الذى عرف انه كليم الله : « وكلم الله موسى تكليما » .
(النساء : ١٦٤)

ولا يمكن التصور ولو للحظة واحدة ان الحديث عن كلام الله هنا يمكن أن يعطى مفهوما الحالة يتم فيها « عمل ميكانيكى » ينتج عنه احداث صوت او نحوه — ذلك ان الله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (الشورى : ١١)

وقد شرح الغزالى ذلك بقوله : « وسماع النبى من الله يكون بغير واسطة .. ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق الله علما ضروريا يدرك به الرسول ثلاثة امور : اولها — أن المتكلم هو الله تعالى ، وثانيها : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، وثالثها : مراد الله من كلامه عز شأنه والقدرة الالهية الازلية لا تقصر عن ذلك » (١) .

اما الحالة الثالثة فانها تكون عن طريق الملك الذى يأتى العبد الصالح رسولا من عند الله فينقل اليه كلام الله محدد المعالم ميسر البيان. وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

« أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

والقرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل على رسوله ، وأمر بتبليغه الى الناس جميعا :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت » .
(الأعراف : ١٥٨)

ولقد أمر الرسول أن يبين للناس كل ما يتعلق بالقرآن حتى يكون دخولهم فى دين الله عن بصيرة واقتناع يقوم على المنطق والبرهان :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » . (النحل : ٤٤)

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول .. ذلك خير واحسن تأويلا » . (النساء : ٥٩)

وكان أول ما نزل من القرآن دعوة صريحة الى التعليم ، وتكريما للعلم ، وتقريرا لحقيقة علمية ترتبط بخلق الانسان الذى يجب ان يعرف مم كانت نشأته :

---

(١) الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى — ص ٨٣ ، ٨٤ .

« اقـــرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقـــرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
(العـــلق : ١ — ٥)

ولقد عرفت هذه السور باسم : سورة « العلق » .

وعن طريق هذا التعليم الالهى عرف أهل الصحراء منذ نحو اربعـة عشر قرنا مضت — وهم على حالهم ذاك من البـداوة والتخلف ، ودون معرفة بطـرق العلم الحـديث وأدواته من ميكروسكوب وغيره — أن بذرة الانسان الأولى انمـا هى كائن حى يســعى ، وان كان لا يرى بالعـــين المجـردة .

وباشراق هذا الروح المضيء على المسلمين الأوائل ، تفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه ، وانطلقوا فى طريق العلم يبحثون عن الحق والخير ، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبى الأمى الذى جاءه العلم وحيـا من عند الله .

وكانوا لذلك يسألونه ، وينتظر الرســول خبر الســماء ، حتى اذا جاءه علمـه ما يقول :

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم »
(البقرة : ٢١٥)

« ويسألونك عن المحيض ، قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . (البقرة : ٢٢٢)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قـل انمـا علمها عنـد ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى الســـموات والأرض ، لا تأتيـكم الا بغتـة » . (الأعراف : ١٨٧)

« ويسألونك عن الروح ، قـل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . (الاسراء : ٨٥)

ولقد حدث ابن ابى مليكة قال ان : عائشة زوج النبى كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه » .

وما كان أمر الوحى ليمضى دون سؤال ولو من بعض المسلمين الأوائل الذين فاتهم نصيب من مشاهدة احدى حالاته ، وهؤلاء أجابهم الرسول وعلمهم ما كان من أمره .

كذلك تكلم الصحابة فى امر الوحى وشهدوا بما رأته اعينهم من حالات ، وما سمعته آذانهم من اصوات تصاحب نزول الوحى كانها دوى النحل او صلصلة الجرس .

فلقد سأل الحارث بن هشام الرسول فقال : يا رسول الله : كيف ياتيك الوحى ؟ . فقال الرسول : احيانا ياتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو اشده على ، فيفصم عنى وقد وعيت ما قال . واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول » .

وقالت عائشة : « اول ما بدىء به رسول الله من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه .. حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرا . قال ما انا بقارىء . قال (الرسول) فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى . فقال اقرأ . قلت ما انا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال اقرأ قلت ما انا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى .

فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ــ خلق الانسان من علق ــ اقرأ وربك الاكرم . فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى .. زملونى .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة واخبرها الخبر :

لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله . ما يخزيك الله ابدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١) .

ان التجارب الانسانية تبين ان الاحداث الهامة فى حياة الافراد والامم تلازمها دائما الشدة والجد .. وهى لذلك تستقر فى باطن العقول ، وتنطبع فى اعماق النفوس ، وتستولى على المشاعر والوجدان ، وتحكم سلوك الناس ازمانا طويلة .

---

(١) صحيح البخارى ــ الجزء الاول .

ولا شك ان الوحى من اخطر ما عرفته البشرية من احداث فرادى وجماعات ، اذ انه شيء يتعلق بحياتهم الحاضرة ومصيرهم الابدى .

وما كان الوحى لينزل على رسول الله وهم فى لهو وسرور وعنه غافلون ، لا يعباون به ولا يدرون من امره شيئا .

لكن تجربة الوحى معهم كانت تلازمها دائما شدة وتنبيه خاص يهيىء السبيل لطبع آياته فى عقولهم ، ونقش تعاليمه فى افئدتهم .

ولقد كان هذا هو حال موسى الذى كان يغطى وجهه وتتغير هيئته فزعا من خطورة الموقف .

ففى اول وحى تلقاه موسى — كما تذكر اسفاره :

غطى موسى وجهه لانه خاف — خروج ٣ : ٦ » .

« وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل ان موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه . **فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع، فخافوا ان يقتربوا اليه . .**

ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا — خروج ٣٤ : ٢٠ — ٣٣ » .

وتتكلم عن ذلك اسفار العهد الجديد فتقول : « **كان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى انا مرتعب ومرتعد** — عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

ولقد كانت تجربة الوحى شديدة على الرسول كحالة غير عادية تفرض عليه ، فيعانى من شدتها ما يعانى . وفى هذا قال عبادة ابن الصامت :

« كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه » .

وقال زيد بن ثابت — كاتب رسول الله : « انزل (الوحى) على رسول الله وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى » (١) .

وقال ابو اروى الدوسى : رايت الوحى ينزل على النبى وانه على

---

(١) تفسير ابن كثير .

راحلتـه ، فترغو ، وتفتـل يديها حتى اظن ان ذراعها تنفصم فربما بركت وربما قامت موتدة يديها ، حتى يسر عنه من ثقل الوحى ، وانه ليتحدر منه مثل الجمان » (١) .

ولم تكن شدة الوحى امرا تفـرد به موسى ومحمد دون غيرهما من انبياء الله ، انمـا كانت ظاهـرة مشتركة خبروها جميعا ، وان اختلفت مقادير شدتها ووقعها .

ويزيدنا القـرآن توضيحا لمـا حدث لموسى فى اول وحى تلقـاه ، فنعلم انه كان يعانى من ضيق صدره لهول ما تعرض له كيانه البشرى فى تجـربة ذلك الاتصـال الروحى العـالى . وبعد أن خفت عليـه شـدة التجربة ، وبدا يملك زمام نفسـه — انطلق لسانه بالدعاء الى الله أن يشرح له صـدره حتى يهون عليه أمر الوحى ، ويطيقه دون اجهاد :

« قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى » (طه : ٢٥—٢٦) .

ولقد من الله على رسول الاسلام اذ شرح له صدره ، ومكنه بذلك ان يطيق ثقل الوحى ويتحمل الضيق والشدة التى تلازم نزوله ، فقال :

« الم نشرح لك صـدرك ... » (الشرح : ١) .

*

وبين موسى ومحمد نجـد مصابيح كثيرة من الأنبياء عرفت الشـدة عند حـدوث الوحى ونزول الروح الملائكى من السماء وصـمدت لتلك الحـال .

ولقد راينا سابقا كيف تلقى ايليا وحى السماء وسط جو مفـزع حدثت فيه « ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور.. وبعـد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار .. وبعد النـار صوت منخفض خفيف . فلمـا سـمع ايليـا لف وجهـه برداءه — الملوك الأول ١٩ : ١١ — ١٣ » .

وراينا كيف كانت شدة الوحى مع اشـعياء ، وكيف عامله الملاك

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد — بيروت ١٩٦٠ — الجزء الأول — ص ١٩٧ .

بعنف لدرجة انه كوى شفتيه بالجمر الملتهب ، حتى يهيئه لتلقى الوحى وحمل الرسالة الى شعبه :

« طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد اخذها بملقط ومس بها فمى وقال ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك .

ثم سمعت صوتا قائلا من ارسل ومن يذهب من اجلنا . فقلت هانذا ارسلنى .. فقال اذهب وقل لهذا الشعب — اشعياء ٦:٦—٩ ».

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك ويقول :

« حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه وصوت اجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد باخيه وصوت البكرات معها **وصوت رعد عظيم** . فحملنى الروح واخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى **ويد الرب كانت شديدة على** .

فجئت الى المسبيين .. وحيث سكنوا **هناك سكنت سبعة ايام متحيرا فى وسطهم** — حزقيال ٣ : ١٢ — ١٥ » .

ولم تكم معجزات المسيح تجرى على يديه فى اى وقت شاء ، ولكنها حدثت كما ارادها الله توقيتا وكيفية ، وهيأ لها المسيح بما امده من روح وقوة . وحين كان يفتقد المسيح ذلك الند الالهى فانه كان يعجز تماما عن فعل المعجزات حتى ولو وقف فى مجال التحدى امام اعدائه والمستهزئين به من اليهود :

« كانوا يعثرون به : فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيته .

ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة (معجزة) واحدة — مرقس ٦ : ٣ — ٥ » .

« خرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية . الحق اقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية — مرقس ٨ : ١١ — ١٢ » .

ولكن حين يستقبل المسيح ذلك الفيض الالهى ، ويهيأ بذلك لصنع المعجزة فانها حين تحدث تصاحبها معاناة نتيجة لما يفقده المسيح من طاقة يحسها ويشغل نفسه بها :

« وامراة تنزف دم منذ اثنتى عشرة سنة .. لما سمعت بيسوع جاءت فى الجمع من ورائه ومست ثوبه .. فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها أنها قد برئت من الداء .

فللوقت التفت يسوع بين الجمع **شاعرا فى نفسه بالقوة التى خرجت منه** وقال من لمس ثيابى :

فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسنى وكان ينظر حوله ليرى التى فعلت هذا .

وأما المراة فجاءت وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله — مرقس ٥ : ٢٥ — ٣٣ » .

ولقد كان جبريل ينزل بالقرآن ، يوحى به الى الرسول ويقرؤه عليه آيات مفصلات . وكذلك كان ينزل جبريل بغير القرآن ليعلم الرسول امورا تختص به وبدعوته ، ولقد كان أكثر نزوله فى رمضان حين كان يدارس الرسول القرآن .

قال ابن عباس : « كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الريح من المرسلة » (١) .

ولقد شاهد المسلمون الأوائل صورا كثيرة من هذا التعليم السماوى، حدثت احداها حين كان الرسول فى جمع من صحابته واذا بجبريل قد اقبل على مجلسهم متمثلا رجلا شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يبدو عليه آثار السفر . وقد كان فى هيئة بشرية ترتاح لها النفوس وتطمئن لها القلوب ، وبدأ جبريل تعليمه بأسلوب المناقشة التى تقوم على طرح السؤال على الرسول ، وتلقى الجواب منه ، ثم التعليق عليه . وبذلك يتشوق السامعون لمعرفة الاجابات التى شغلتهم أسئلتها ، فتستقر المعرفة فى ذاكرتهم . قال أبو هريرة :

« كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فاتاه جبريل فقال :

ما الايمان ؟ قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال صدقت — قال : ما الاسلام ؟ قال الاسلام ان تعبد

---

(١) صحيح البخارى : الجزء الأول .

الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال صدقت .

قال : ما الاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال صدقت .

قال : متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها باعلم من السائل . وساخبرك عن اشراطها . ثم أدبر . فقال (النبى) ردوه على . فلم يروا شيئا .

فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم » (١) .

ومن هذا الوحى وأمثاله علم الرسول المؤمنين تفاصيل الدين وبين لهم حدود الشريعة ، وضرب لهم المثل فى القول والفعل ، واستن بذلك سننا وجب على المسلمين اتباعها والسير على هداها .

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول الله :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » . (الحشر : ٧)

*

ويستطيع الانسان ان يجمع ما يمكن جمعه من الأسفار والكتب المقدسة ثم ينظر فيها جميعا ، فان يجد كتابا مثل « القرآن » يعلم قارئيه ويقنعهم بمختلف الأدلة والبراهين — انه كلام الله الذى نزل على رسوله وحيا ، وهو آيات الله البينات التى تلاها النبى العربى على مسامع العالمين :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما . لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا » . (النساء : ١٦٣ — ١٦٦)

« قال انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم الله واحد ،

---

(١) صحيح البخارى ومسلم — الجزء الأول .

فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »
(الكهف : ١١٠)

« كذلك أرسلناك فى أمـة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليـه متاب » . (الرعد : ٣٠)

« قل انمـا انذركم بالوحى ، ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون»
(الأنبيـاء : ٤٥)

« قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى هـذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهـة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحـد وانني بريء مما تشركون » . (الأنعـام : ١٩)

وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلمـا وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليـه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السـموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما » . (الفـرقان : ١ ــ ٦)

* *

ولابد لمن يدرس موضـوع « الوحى فى القـرآن » ان يقف طويلا امام عدد من الآيات المحكمات يتدبرهن ، ويفكر مخلصا مع نفسه فيما تنطق به ، ولسوف يخـرج من ذلك بنتائج محـددة تبصره تماما بحقيقة الوحى فى القـرآن .

وتتصدر هـذه الآيات ، تلك الدعوة الالهية الصريحة الى النـاس أن يتدبروا القـرآن ويعوا آياته ، وعنـدئذ سيعلمون انه قول « الحق » الذى لا جهالة فيه ولا اضطراب ولا تناقض ، وانه مبرأ عن كل ما ينسب لقـول البشر من قصور واختلاف :

« أفلا يتدبرون القـرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيـه اختلافا كثـيرا » . (النساء : ٨٢)

« يا ايهـا النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون .. وان كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسـورة من مثله

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـــار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » .
(البقرة : ٢١ ، ٢٣ — ٢٤)

ومن الواضح ان هـــذا التحـــدى القـــرآنى لا يقتصر على من كذب بالقـــرآن من الأعراب الذين عاصروا نزوله ، وحاولوا اللغو فيه والالحـــاد فى آياته ، انمـــا هو تحد يلقـــاه كل من يكفر بالقرآن منذ تنزلت آياته الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ولقد أوجز القـــرآن موضوع التحدى هـــذا فى كلمـــات قليـــلة حين قال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هـــذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . (الاسراء : ٨٨)

ولا يستطيع عاقل يعلم اقل القليـــل من ســـيرة الرسول وتواضعه وخلقـــه ، او حتى لا يعلم شيئا من ذلك ، ثم يغفـــل عمايذكره القـــرآن عن الكذابين من مدعى النبوة والرسالة الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا ان وحى الحق تنزل اليهم — فقد جعـــل القـــرآن هؤلاء بحق اظلم الظالمين :

« ومن اظـــلم ممن افترى على الله كذبا ، او قال أوحى الى ولم يوح اليـــه شيء ، ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم ، اليـــوم تجـــزون عذاب الهـــون بما كنتم تقـــولون على الله غير الحـــق وكنتم عن آياته تستكبرون .

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضـــل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام : ٩٣—٩٤)

« فمن اظلم ممن افترى على كـــذبا او كذب بآياته ، اولئـــك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنـــا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشـــهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين .

قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النـــار ،

كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادارکوا فيها جميعا قالت اخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » . (الأعراف : ٣٧ — ٣٨)

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، الا لعنة الله على الظالمين ..

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون » . (هود : ١٨ ، ٢١ — ٢٢)

« ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به ، وأسروا الندامة لما رءوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » .
(يونس : ٤٥)

وما كان الانسان ليضل بظلمه غاية مداه فيفترى على الله الكذب ويقول حسبما أملاه عليه هواه ثم يترك مسترسلا فى ضلالاته دون عقاب يصيبه فى الدنيا قبل الآخرة .

ونعلم من القرآن أن محمدا لو تقول على الله شيئا من عنده ، لجاءه القتل عقابا سريعا لا راد له من الله :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . (الحاقة : ٤٤—٤٧)

ونجد توراة موسى تذكر أن الموت العاجل لابد وان يباغت كل من يدعى كذبا انه نبى لله يتلقى وحيه ويتكلم زورا باسمه .

« أما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى ، فيموت ذلك النبى — تثنية ١٨ : ٢٠ » .

وواضح أن الموت هنا يقصد به القتل او الموت العاجل الذى ينهى حياة مدعى الرسالة ، ولا يمكن ان يعنى ذلك الموت الطبيعى الذى ينتظره كل الناس .

فعندما يقول الله عن مخلوق انه « يموت » فان هذا يعنى انه يقتطع من الأرض بأحد الوسائل التى تعجل بنهايته مثل القتل او الغرق ونحوه ، لأنها جميعا وسائل تفضى الى الموت العاجل .

ونعلم ذلك من شواهد كثيرة منها أنه عندما أراد الله هلاك قوم نوح قال له :

« نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض قد امتلأت ظلما منهم . فها أنا مهلكهم مع الأرض .. ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت ..

وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض .. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض .. كل ما في أنفه نسمة روح حياة كمن كل ما في اليابسة مات — تكوين ٦ : ١٣ ، ١٧ / ٧ : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ » .

ومن الواضح أن الموت هنا تم عن طريق الغرق الذي لا يعتبر موتا طبيعيا ، كذلك يعني الموت احداث الوفاة عن طريق المرض أو القتل ، كما يتبين ذلك من قصة ابيمالك الذي حاول اغتصاب سارة زوجة ابراهيم :

« وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي . فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة فجاء الله الى ابيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل .. فقال يا سيد أمة بارة تقتل . ألم يقل هو لي انها أختي ..

فقال له الله في الحلم .. الآن رد امرأة الرجل فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت وانت وكل من لك — تكوين ٢٠ : ٢ — ٧ » .

وتؤكد اسفار موسى نفس المعنى للموت ، كما ورد في حكم من يحاول قتل صاحبه :

« اذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت — خروج ٢١ : ١٤ » .

فالمقصود بالموت هنا هو القتل ..

ويتبين مما جاء ذكره في كل من الكتاب المقدس والقرآن ان احدى العلامات التي يعرف بها مدعي النبوة الذي يكذب على الله ، هو ان يقتلع من الأرض قبل ان يتم دعوته ويكون ذلك بالموت قتلا او نحوه . ولا يمكن ان يعني هذا ان كل من عجل بنهايته ومات قتيلا من الانبياء بانه قد كذب على الله ، ولكن العكس في رأيي — هو الصحيح وهو ان كل من كذب على الله فقد اقتلع من الأرض قبل الأوان .

ومن ناحية اخرى فاننا نجد فى الكتاب المقدس علامة اخرى هامة يعرف بها النبى الصادق صاحب رسالة الحق الى العالمين ، وهى ان الله يمسك بيده ويحفظه من كل شر حتى يتمم رسالته ويخرج من ارسل اليهم من الظلمات الى النـور :

« هكذا يقول الله الرب خالق السـموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب نسمة الساكنين فيها روحا .

انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهـدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيـون العمى لتخرج من الحبس المـأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمـة — اشعياء ٤٢ : ٥ — ٧ » .

ويقول الله لرسوله فى القرآن :

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فمـا بلغت رسالته ، **والله يعصمك من الناس** » . (المـائدة : ٦٧)

فهذا وعد صريح للرسـول بانه لن يوجد من يعجل بالقضاء عليه من الناس . وقد اثبات آيات القرآن بالنصر المؤكد للرسول ودعوته فى الدنيا والآخرة . وما على الذين رفضوا قبول تلك النبوة حجوداً ومكابرة الا أن يفعلوا بانفسهم ما يشاءون من شنق وغيره ، لعل فى ذلك ما يطفىء غيظ القـلوب المكابرة :

« **من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخـرة** ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر ، هل يذهبن كيده ما يغيظ » .
(الحج : ١٥)

« يريدون ان يطفئـوا نور الله بافواههم **ويابى الله الا ان يتم نوره** ولو كـره الكافرون . هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظره على الدين كلـه ولو كره المشركون » . (التوبة : ٣٢ — ٣٣)

واستمرت آيات الله تنزل على الرسـول حتى اكتملت دعوته وبلغ الأمر غايته ، ونزل قول الله :

« **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـا** » . (المـائدة : ٣)

من كل ما سبق نستطيع القول بان ادعاء النبوة والقول زورا بتلقي الوحى من الله انمـا هو امر خطير ، تعجل عقوبته فى الدنيا قبل الاخرة ، فيقطع ذلك الدعى من الارض قبل ان يتمم دعوته .

* *

وخلاصة القول فى موضوع الوحى ان وسائله كثيرة وطرقه متنوعة ، تشابهت جميعها فى اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولا يصح لاحد ان يؤمن بها هنا وينكرها هناك ، او يسلم بصدقهـا فى كتاب مقدس ثم يجحد امرها فى كتاب سماوى آخر .

فلم يكن الوحى الى النبى محمد خروجا عن المـالوف الذى تعرض له الانبياء السابقون فى هـــذا المجـــال ، ولا محـل ـ اذن ـ للتعجب او الاستنكار . وانمـا العجب حقـا يتمثـل فى موقف الجاحدين للوحى المحمـدى من الكفار ايام الرسول وممن لا يزال على كفره بالنبى ورسالته من اشياعهم حتى اليوم . وهنـا يستنكر « الحق » موقف هؤلاء وهؤلاء الذين جهلوا حالات الوحى وتاريخ النبوات أو تجاهلوها عن عمد فيقول :

« الـر تلك آيات الكتـاب الحكيم . أكان للنـاس عجبا ان أوحينا الى رجل منهن أن انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم، قال الكافرون ان هـــذا لساحر مبين » . (يونس : ١ ـ ٢)

والحق أن الوحى المحمـدى استمرار للوحى الى الانبياء السابقين ، لا عجب فى حالاته ولا غرابة فى وسائله وكيفياته . وصدق الله اذ يقـــول لنبيـــه :

« انا اوحينا اليـك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ان الوحى تجارب خاصة وحالات غير عادية تعـرض لهـا رجال الله المصطفون الاخيـار ، واحتملوا شدتها وبأسـها ، وبلغوا للنـاس ما امروا بتبليغه اليهم ، فكان هديا ونورا للعـالمين .

* * *

الفصل الثالث

الجن

الجن

يتفق بعض المؤمنين على الايمـان بالجن ، وقدراته الخارقة ، بينما اهتز ذلك الايمان ــ ان لم يكن قد انتهى تماما ــ عنـد اغلب المؤمنين ، فصاروا يعتبرون الكلام من الجن وامكانية وجوده وتأثيراته فى عالمنـا المحسوس كانهـا ضرب من الأساطير القديمـة والشـعوذة التى لا يقبلها العقل المتقـدم لانسان القرن العشرين .

ومنذ فجر التاريخ حتى يومنا هـذا نجد ان الانسان قد تعامل مع الجن ، واتصـل به وحاول استغلال قدراته الهـائلة فى تحقيق رغباته ، واستطلاع الغيب ، واحداث الظواهر العجيبة التى هى خوارق لما اعتاد عليه النـاس ، فتصيبهم بالدهشة والحيرة وتستولى على عقولهم .

ذلك هو السحر الذى يعد من اقدم علوم البشرية وتجاربها مع عوالم المخلوقات الأخرى الخفية .

ولسوف نبحث موضوع الجن من خلال ما تذكره الكتب المقدسة .

* *

الجن فى العهـد القديم

١ ــ استعمل فرعون سحرته وعرافيه لياتوا بسحر واعاجيب تقف امام الاعاجيب التى اجراها الله على يد موسى واخيه هارون ، حتى يثبت لشعبه ولبنى اسرائيل قدرته وتفوقه . فحين حـول موسى عصاه ثعبانا « فعل عرافوا مصر ايضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين ــ خروج ٧ : ١١ ــ ١٢ » .

وحين حـول موسى وهارون ماء النهر الى دم « فعـل عرافوا مصر كذلك بسحرهم فاشـتد قلب فرعون فلم يسـمع لهما كما تكلم الرب ــ خروج ٧ : ٢٢ » .

وحين ملأ موسى وهارون الأرض بالضفادع « فعـل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا ، الضفادع على ارض مصر ــ خروج ٨ : ٧ » .

٢ ــ من اجل ذلك حذرت شريعة موسى من التعامل مع الجن تلك الأرواح الخفية التى غالبا ما تضل المؤمنين :

« لا تلفتوا الى الجان ولا تطلبـــوا التوابع فتتنجسوا بهم — لاويين ١٩ : ٣١ » .

ولقد فرضت التوراة اقصى العقوبات على النفس البشرية التى يمتلك الجـان فيها حظا سواء كان ذلك طوعا بارادتها ، او كرها اجبرت عليـه بتسلط الجان على تلك النفس . ولقد بلغت العقوبة حد القتل رجما :

« النفس التى تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى وراءهم اجعـل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها ..

اذا كان فى رجـــل او امراة جان او تابعـة فانه يقتـل بالحجارة ، يرجمونه ، دمه عليه — لاويين ٢٠ : ٦ ، ٢٧ » .

٣ — ولقد ذهب عن شاول — اول ملك فى بنى اسرائيـل — الروح الملائكى الكريم الذى اكرمه الله به ، وحل عليه روح شيطانى شرير عقابا له على عصيانه اوامر الله . وكانت روح الشر تخف حدتها ويهـدأ ما تثيـره من اضطراب فى نفس شاول حين تستمع الى الضرب بالعود الذى تميز به داود نبى الله وملك اسرائيـل فيما بعد :

« وذهب روح الرب من عند شاول وبغتـه روح ردىء من قبـــل الرب ، فقال عبيـد شاول له هـــذا روح ردىء من قبـل الله يبغتك . فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ..

فجاء داود الى شاول ووقف امامه .. وكان عندما جاء الروح من الله على شاول أن داود اخذ العود وضرب بيـده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردىء — صموئيل الأول ١٦ : ١٤ — ٢٣ » .

*

وتروى الاسفار حكاية غريبة كل الغرابة عن تاثير الجان وتابعيه من الانس ، وتسلطهم على ارواح الموتى بمـا فى ذلك الانبيـــاء ، فقد حدث « فى تلك الايام ان الفلسطينيين جمعوا جيوشهم لكى يحاربوا اسرائيل » . وكان صموئيل النبى قد مات ، ولم يجـد شاول من يستشيره فى الامر ، ويسأل الله له النصر . وعنـــدئذ ذهب شاول ليبحث عن أحد السحرة او العرافين لعـل احدا منهم يقـدم له العون ، رغم انه كان فى ايام صلاحه مع الله قد « نفى اصحاب الجان والتوابع من الأرض » . ولقد « سـأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالاحلام ولا بالاوريم ولا بالانبيـــاء . فقال شاول لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فاذهب اليها واسالها فقال له عبيـــده هوذا امرأة صاحبة جان فى عـين دور . فتنكر شاول

وذهب الى المرأة ليـــلا وقال اعرق لى بالجان واصـــعدى لى من اقـــول لك .. فقالت المرأة من اصعد لك فقال اصعدى لى صموئيل : فلمـــا رات المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم .. فقال لها الملك لا تخافى . فمـــاذا رأيت . فقالت المرأة لشاول رأيت آلهـــة يصعدون من الأرض . فقـــال لهـــا ما هى صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة . فعـــلم شاول انه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد . فقال صـــموئيل لشاول لمـــاذا أقلقتنى باصـــعادك اياى . فقال شـــاول قد ضاق بى الأمر جـــــدا . الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى ولم يعـــد يجيبنى لا بالأنبيـــاء ولا بالاحـــلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا اصنع . فقال صموئيل ولمـــاذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك . وشـــق المملكة من يديك واعطاها لقريبك داود .. ويدفع الرب اسرائيل ايضا معك ليد الفلسطينيين وغدا انت وبنوك تكونون معى ويدفع الرب جيش اسرائيل ايضا ليـــد الفلسطينيين . فاسرع شاول وسقط على طوله الى الأرض وخاف جـــدا من كلام صموئيل — صموئيل الأول ٢٨ : ١ — ٢٠ » .

ان هـــذه القصة تطرح كثيرا من التساؤلات فيما يتعلق بمصير الانسان بعد الموت ، وهى تصدم ولا شك اللاتين من اصحاب العقائد غير اليهودية، وخاصة اذا علمنا من اسفار موسى وغيره ، ان الهـــاوية مكان مفزع ، ودار عذاب فى باطن الأرض .

فقد قال موسى عن قوم اخطأوا الى الله : « ان ابتدع الرب بدعـــة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحيـــاء الى الهـــاوية تعلمون أن هؤلاء القـــوم قد ازدروا بالرب . فلمـــا فرغ من التكلم بكل هـــذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم . وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح من كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهـــاوية وانطبقت عليهم الأرض فبـــادوا من بين الجمـــاعة — عدد ١٦ : ٣٠ — ٣٣ » .

وقال داود لابنه سليمان فى وصيته الأخيرة : « انت ايضا تعلم ما فعل بى يوآب ابن بصرويه فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهـــاوية .

هوذا معك شمعى بن جيرا البنيامينى وهو لعننى لعنة شـــديدة .. فلا تبرره لانك انت رجل حكيم فاعلم ما تفعل به واحدر شيبته بالدم الى الهـــاوية — الملوك الأول ٢ : ٥ — ٩ » .

فمن ذلك يتبين ان الايمان بالجن ووجوده وتاثيره فى الانسان يمثل احدى العقائد التى تقوم عليها اسفار العهد القديم .

* * *

الجن فى العهد الجديد

يذكر الانجيل ان المسيح اخرج شياطين — وهى ارواح شريرة من الجن — من جسد بعض المجانين . وقد حلت تلك الشياطين فى جسد قطيع من الخنازير فاغرقته فى البحر :

« ولما جاء الى العبر .. استقبله مجنونان خارجان من القبور وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . **فالشياطين** طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا ان نذهب الى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه — متى ٨ : ٢٨ — ٣٢ » .

« وشفى كثيرين كانوا مرضى بامراض مختلفة **واخرج شياطين كثيرة** — مرقس ١ : ٣٤ » .

« ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين **فاخرج الارواح** بكلمة وجميع المرضى شفاهم — متى ٨ : ١٦ » .

« **وكان يخرج شيطانا وكان ذلك اخرس** . فلما اخرج الشيطان تكلم الاخرس . فتعجب الجموع . واما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين — لوقا ١١ : ١٤ — ١٥ » .

*

وتكون العرافة ومحاولة التنبؤ بالغيب التى تثير عجب الناس — هى احدى مظاهر تعامل الجن مع الانسان :

« حدث بينما كنا ذاهبين الى الصلاة ان **جارية بها روح عرافة** استقبلتنا وكانت تكسب مواليها مكسبا كثيرا بعرافتها . هذه اتبعت بولس وايانا وصرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيد الله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص .. فضجر بولس والتفت الى الروح وقال انا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . فخرج منها . فخرج فى تلك الساعة — اعمال الرسل ١٦ : ١٦ — ١٨ » .

ويحاول ابليس — كبير الشياطين — ان يدخل فى صراعات ومجادلات مع كل الخلق بغيـة الفتنة والاضلال حتى مع الملائكة :

« اما ميخائيل رئيس الملائكة فلمـا خاصم ابليس محاجا عن جسـد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب — رسـالة يهـوذا : ٩ » .

« من يفعـل الخطيـة فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطىء — (١) رسالة يوحنا ٣ : ٨ » .

*

مما سبق يتضح أن اسفار العهد الجديد تعترف بالجن وقدراته ، بل وتعتبره سببا لكثير من الامراض الصعبة التى تصيب الانسان مثل : الجنون والخرس . ولما كان الانسان ميالا بطبعه الى استطلاع الغيب ومعرفة احداثه قبل وقوعها فانه يصاب بالدهشة ويقف عقله جامدا امام القدرات الخارقة التى تظهر فى هـذا المجال من العـرافين والمتنبئين ، وذلك حين يعجز عن تفسير هـذه الظواهر التى تعتبر على اساس ما سبق بيـانه نوعا من الالقـاء او الوحى من الجن الى الانسان .

* * *

الجن فى القـرآن الكريم

خلق الله الانسان الأول — آدم — من مادة التراب ثم نفـخ فيـه الخلاق العظيم من روحه فدبت فيه الحياة بكل معانيها .

ومن قبـل خلق الله الجن من طبيعة اخرى غير الطبيعة الانسانية . فلقد خلقت الجن من طبيعة طاقيـة ذات صبغة حرارية عالية الدرجة ، كتلك التى نحسها من النار المتأججة شديدة النفاذية :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمـأ مسنون . والجـان خلقنـاه من قبل من نار السموم » . (الحجر : ٢٦ — ٢٧)

وللجن اهتزازه الخاص به ، وتلك خاصية من خواص الطـاقة التى نعرفها اليـوم فى صـورها المختلفة من حرارة ، وضـوء ، وكهـرباء ، ومغناطيسية .. الخ .

فلكل من هذه الطاقات اهتزازه ، أو ذبذبة تتحدد بها .

فعنـدما تلقى موسى الرسالة ، أمره الله أن يلقى عصاه ، واذا بهـا تتحول الى حيـة تهتز بمنـة ويسرة كأنها جان ، الأمر الذى أفزع موسى :

« وأن الق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبـل ولا تخف انك من الآمنين » . (القصص : ٣١)

ولقد كان ابليس واحدا من الجن ثم تقرب الى الله بالعبادة وانقطـع لهـا . لكنه فتن بعد خلق آدم حين داخله الكبر والغرور فعصى الله وكفر وتحول الى شيطان :

« واذ قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . (الكهف : ٥٠)

ويقصر بصر الانسان عن مشاهدة الجن فى صورته الطاقية وما ذلك الا لأن ذبذبة طاقته عاليـة جـدا الى الدرجـة التى تخرجها عن نطـاق ذبذبة الضوء التى يحسها الانسان :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (الأعراف : ٢٧)

والجن عالم اقل ما يوصف به انه مماثل لعـالم الانسان بما فيـه من حيـاة وموت ، وعلم وعمـل ، وايمـان وكفر . وللجن رسالات وفيه مرسـلون .

« واذ صرفنا اليـك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلمـا حضروه قالوا أنصتوا ، فلمـا قضى ولوا الى قومهم منـذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لمـا بين يديه ، يهدى الى الحـق والى طريق مستقيم . يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنـوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم » . (الأحقاف : ٢٠ ـ ٣١)

وتقـول الجن :

« وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنـا طرائق قددا » .
(الجن : ١١)

ويقول الله للجن والانس يوم القيامة :

« يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين » . (الانعام : ١٣٠)

ولقد اتصل الانس بالجن ، وسخر كل منهم الاخر لصالحه ومتعه الخاصة ، وظهر السحرة من بنى الانسان يفسدون فى الأرض ويفتنون الناس عن دين الله . ولقد توعد الله امثال هؤلاء من الانس والجن بالعذاب المهين يوم القيامة :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (الجن : ٦)

« ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . (الانعام : ١٢٨)

ومن الجن من تسلط على نفر من الانس ، وصار يوحى اليهم سيء الاقوال وفواحش الافعال فحول الانسان بذلك الى شيطان يضل الناس عن طريق الحق :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان اطعمتوهم انكم لمشركون » . (الانعام : ١٢١)

ومن الانس شياطين تناظر — ان لم تتفوق فى شرورها على — شياطين الجن وخاصة فى مجال الفتنة وبلبلة الخواطر . وذلك حين :

« يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » . (الانعام : ١١٢)

ومن الجن من يعمل قرينا للانسان يلازمه طول حياته ويعلم دخائل نفسه . وهو الذى يوسوس للانسان بمختلف الوساوس والشكوك ويزين له طريق الشر .. ثم يوم القيامة يختصم الانسان مع قرينه امام الله ، ويلقى كل منهما اللوم على صاحبه :

« وقال قرينه ربنـــا ما اطغيته ولكن كان فى ضـــلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيـــد . ما يبـدل القـول لدى وما انا بظـلام للعبيد » . (ق : ٢٧ — ٢٩)

وحتى اذا ما انتهى الامر يوم القيامة وانصرف كل لينال جزاءه ، فان ذلك القـرين الشيطانى ســـوف يظـل يلقى اللوم على صاحبـه من بنى الانسان ويتهمه بالضعف والاستجابة لاغرائه ثم يتبرأ من فعله :

« وقال الشيطان لمـا قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليـكم من سلطان الا ان دعوتكم فاســتجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى ، انى كفرت بما اشتركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب اليم » . (ابراهيم:٢٢)

ومن الانسان من يستطيع التغلب على وساوس قرينه فينجو بنفسه من عذاب يوم القيامة ، بينما يهلك ذلك القرين فى العذاب المهين :

« فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول انك لمن المصدقين . أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمدينون .

قال هل انتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله ان كدت لتردين . ولولا نعمـة ربى لكنت من المحضرين » .
(الصافات : ٥٠ — ٥٧)

من اجل ذلك كان جهاد النفس ومحاولة التغلب على وساوس القرين واغراءاته المستمرة من اشـــق انواع الجهـاد . وقد عرف لذلك باســم الجهاد الاكبر .

واننا لنجد فى حقيقة القرين هذه التفسير المقبـول لظاهرة تحضـير الارواح .

ولا تكون الروح التى يحس بها شهود الجلسة — وهى تحكى بالكلام او الكتـابة او غيره تاريخا من المـاضى ، او تبـــدى رايا فى الحـــاضر ، او استطلاعا للمستقبل — لا يكون ذلك كلـه سوى قرين الجن لذلك الميت الذى اقترن اســمه بتلك التجربة .

ولقد كانت الجن تحاول استراق الســـمع ، ومعـرفة ما يدور فى السماوات العلى ثم تلقى بما يتراءى لها من تلك المعرفة — زيادة اونقصانا ، صدقا كلـه او خالطه الكذب — الى اقرانهم من بنى الانسان الذين تحدثوا

عندئذ فى الغيبيات ، وما كان ينتظر العالم من احداث ، فصدقوا قليـــلا وكذبوا كثيرا .

« هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون » . (الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٢)

لكن الجن بدات تعانى المتاعب فى محاولاتها استراق السمع منـــذ بدا نزول القـرآن . وفى هـذا قالت الجن :

« وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشـهبا . وانا كنـا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الأرض ام اراد بهم ربهم رشـدا » .
(الجن : ٨ — ١٠)

« لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » .
(الصافات ٨ — ١٠)

وللجن علوم ومحاولات لغزو الفضاء واستطلاع للمجهول ، تناظر على الاقل — ان لم تتفوق على محاولات الانسان فى هـذا المجال :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » . (الرحمن : ٣٣)

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد « السلطان » مرادفا للعلم المعجز الذى استقرت اسسه ، وظهرت حقائقه ، وبان خطره للناس :

« ام لكم سلطان مبين . فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين » .
(الصافات : ١٥٦ — ١٥٧)

كذلك اعترفت الجن بعجـــزها عن الهـروب وتخطى قيـود المكان والابعـــاد :

« وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا » .
(الجن : ١٢)

ومن رحمة الله بالانسان ان سخر له ارواحا من الملائكة تحفظه من اذى الارواح الشريرة من الجن وغيره . ولولا ذلك لتسلطت تلك الارواح الخبيثة على كل البشر ، وعطلت الحياة على الارض محاولة توجيهها لغير ما خلقه الله :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الانعام : ٦١)

« ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » .
(الانفطار : ١٠ — ١٢)

ومن رحمة الله التي وسعت كل شيء ان اوكل تلك الحفظة بالناس اجمعين سواء كانوا مؤمنين او كافرين :

« ان كل نفس لما عليها حافظ » . (الطارق : ٤)

ولا يزال الانسان في حفظ من تلك الارواح الشريرة الا ان يشاء الله به شيئا آخر ، وعندئذ يمسه السوء وتصيبه تلك الارواح بالاذى تماما كما يصيبه الاذى المادى الذى يلقاه من المخلوقات التى يعرفها ويحس مادتها مثل الانسان والحيوان وغيره :

« قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله » .
(الاعراف : ١٨٨)

*

وخلاصة القول في موضوع الجن ان المؤمنين مطالبون — حسبما تبينه الكتب المقدسة — بالايمان بوجود الجن وقدراته وتأثيره في الانسان .

* * *

الخلاصة

لقد اجمعت الاديان الثلاثة : وهى اليهودية والمسيحية والاسلام على ان الملائكة مخلوقات علوية تستطيع الظهور فى هيئة بشرية متمثلة اشباها من الرجال ، كما يستطيع بعض الصالحين من البشر مشاهدتها فى طبيعتها النورانية .

وللملائكة علاقة وطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته ، كما انهم قرناؤه ، رقباء على افعاله له حافظين كراما كاتبين ، يعلمون كل افعاله ومختلف نشاطاته .

وللملائكة علوم ، وعليهم تكاليف ، ولهم مشاعر واحاسيس ، ويملكون ارادة وتدبيرا . ولقد كان ابرز افعالهم هو التعامل مع عبيد الله المختارين من الانبياء والصالحين وتعهدهم بالتعليم والهداية والرعاية .

*

كذلك اتفقت الديانات الثلاث على ان الوحى تعليم الهى خاص ، وانه المصدر الرئيسى الذى تعلم منه الانسان حقيقة الايمان .

وللوحى طرق مختلفة ووسائل متنوعة منها : الرؤيا المنامية ، والتعليم المباشر من الملائكة فى صورتها البشرية ، والتعليم بصوت من الملائكة فى طبيعتها النورانية ، وتعليم الملائكة فى خفاء ، والكلام « من وراء حجاب » وحلول الروح على العبد الصالح فيرسل لسانه ما استقبلته احاسيسه ، ثم النفث فى روع العبد الصالح فيفيض الحق على لسانه بما وعاه وجدانه .

والوحى تجربة شخصية ارتبطت اولا واخيرا بمن تعرض لها ، وهى قد فرضت فرضا من السماء ولم تات قط بمشيئة انسان ، ولذلك اقتضت رحمة الله بخلقه أن يختار الذين اختصهم بوحيه — من عبيده الانبياء والمرسلين — من صفوة خلقه الذين اشتهروا بين الناس برجاحة العقل وحسن الخلق وطيب المنظر والمخبر والسمو عن كل صغار. ولما كان الشىء الذى يهم البشرية هو نتاج الوحى ، فمن ثم وجب أن يوضع هذا النتاج موضع التدبر والتمحيص ، حتى يميز الناس الخبيث

من الطيب ، فيقبلون المنهج الذى يشكل حياتهم الدنيوية ويحدد مصيرهم الأبدى عن قناعة وايمـان .

*

ولقد درجنا خـلال هـذا الكتاب على التقديم بشىء يسير من القول يعين على فهم نصـوص الكتب المقدسة التى نعـرض لهـا . والشىء المؤكد الآن هو أن ما عرضناه فى فصلى الملائكة والوحى يعتبر تقديما يعيننا على استيعاب آية واحدة من القرآن الكريم نزلت تعليما الهيا من الله — سبحانه — الى رسوله محمد خاتم النبيين ، آية تقول :

« قل ما كنت بدعا من الرسـل ، وما ادرى ما يفعـل بى ولا بكم ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، وما انا الا نذير مبين » (١) .

وما علينا بعد ذلك الا ان نقول وكلنـا ايمـان ويقـين : صدق الله العظيم .

*

هـذا — ولمـا كانت هناك مخلوقات خفية تستطيع التداخل فى حياة الانسان ، كان لزاما أن نذكر شيئا عن **الجن ، تلك المخلوقات التى اجمعت الديانات الثلاث على حقيقة وجودها وبينت الكثير من خصائصها وامكاناتها التى تتعدى — فى مجالات المقارنة — قدرات الانسان .**

ويكفى ان نذكر للذين تستهويهم الخوارق والاعاجيب ما يقوله الانجيل على لسـان المسيح :

« رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء — لوقا ١٠ : ١٨ » .

وهو ما ذكرته الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس :

« ان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور — ١١ : ١٤ » .

*

هـذا — وبعد ان عرضنا ركيزتين من ركائز الايمـان همـا : الملائكة والوحى ورأينا كيف تألفت فيهما اليهودية والمسيحية والاسـلام ، فان ما ينتظرنا هو عرض الركيزة الثالثة التى تجمع هـذا وذاك ثم تزيد عليـه بمـا يحقق امن الانسان وسـعادته فى الدنيـا والآخرة — الا وهى النبوة والأنبياء — والذى ارجو ان تكون هى الجزء الثانى من هذه السلسلة .

* * *

(١) سورة الأحقاف : ٩ .

قائمة المراجع الرئيسية

١ ــ صحيح البخارى .

٢ ــ تفسير ابن كثير .

٣ ــ لسان العرب ــ طبعة بيروت ــ ١٩٥٦ .

٤ ــ الطبقات الكبرى ــ طبعة بيروت ــ ١٩٦٠ .

٥ ــ تاج العروس ــ طبعة بيروت ــ ١٩٦٦ .

٦ ــ الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى ــ مطبوعات المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ــ القاهرة .

*

7— ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959

8— ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960

9— C. H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, fontana books, London, 1964.

* * *

الفهـــرس

صفحة

هـــــذه السلسلة ٣
تقـــــديم ٥

الفصـــل الأول : الملائكة ١٥

الملائكة فى أسفار العهـــد القـــديم ١٨
الملائكة فى العهـــــد الجديد ٢١
الملائكة فى القـــــرآن الكريم ٢٣

الفصـــل الثانى : الوحى ٣٣

الوحى فى العهـــد القـــــديم ٣٦
الوحى فى العهـــد الجـــــديد ٤٦
الوحى فى القـــرآن الكريم ٦٢

الفصـــل الثالث : الجن ٧٩

الجن فى العهـــد القـــديم ٨١
الجن فى العهـــد الجـــديد ٨٤
الجن فى القـــــرآن الكريم ٨٥

الخلاصـــــة ٩١

*

قائمـــة المراجع الرئيسية ٩٣

* * *

كتب للمؤلف

* **العلوم الذرية الحديثة فى التراث الاسلامى .**
٢٣٢ صفحة ـ مكتبة وهبة ـ ١٤ شارع الجمهورية ـ القاهرة .

* **المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .**
٣٢٨ صفحة ـ مكتبة وهبه .

* * *

رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٧٧ / ١٩٧٩
الترقيم الدولى ٢ ـ ٣٦٢ ـ ٢٥٦

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع كريت الوحدة ـ ت ٤٧٤٨٦

هـــذا الكتاب

* فى هذا العصر .. تاكدت **ازمة الحضارة الغربية** نتيجة لطغيان المادية وتمرد **الانسان** على الله . وهى الآن تنحدر بعد ان افسدت الانسان ومسخته .. وفى هـــذا التفاعل المضطرب يجار المصلحون بالدعوة الى تجديد الايمان كعلاج وحيد لمشكلة الانسان .

* لقد عرفت البشرية الايمان اساسا عن طريق الانبياء والمرسلين وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى كانت للملائكة فيه اليد الطولى . من اجل ذلك نستفتح بهذا الكتاب الذى يحدثنا عن ركيزتين للايمان هما « **الملائكة** » و « **الوحى** » بالاضافة الى حديث عن « **الجن** » لعلاقتها بالانسان ..

* وفى دراستنا لهذه الموضوعات فى **اليهودية والمسيحية والاسلام** سوف نرى فى اى النقاط تتفق تماما وفى ايها يوجد ائتلاف او اختلاف . ومهما يكن من امر فلسوف نرى فى النهاية **ان دين الله واحد** .

* وهنا نقبل ما يقوله **الدكتور نظمى لوقا** فى مقدمة كتابه « **محمد : الرسالة والرسول** » : « من يغلق عينيه دون النور ، يضير نفسه ولا يضير النور . ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضير عقله وضميره ولا يضير الحق » ..

To: www.al-mostafa.com